أقدار مؤقتة

عنـوان الكتـاب: أقـــدار مؤقتـــة
الموضـــوع: روايـــــــة
التـأليـــف: محمـــود كمـــال
مراجعـة لغويـة: عمـرو سـالم سـواح
إخـــراج فنـــي: عمـرو سـالم سـواح
تصـميم الغـلاف: إســـلام مجاهـــد
رقـــم الإيـــداع: 2019/ 22453
التـرقيم الـدولي: 978 -977 -6639 -72 -0
الناشـــــــر: دار تويتة للنشر والتوزيع
www.facebook.com/Tweetforpublish
tweetpublishing2017@gmail.com
٧ش محمد أبوالعطا- محطة العريش-فيصل- الجيزة
رئيس مجلس الإدارة: م/ أحمد عبد العزيز
المدير العام: أ/ رشا العمري
01017799799
01225762066

تويتة
Tweeta
للنشر و التوزيع

#غرّد_للعالم

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

أقدار مؤقتة

رواية

محمود كمال

إهـــــــــــداء خاص

لمُقَنَنِي هَذه الروايةَ

إهداء..

إلى آيةِ الله في أرضي وسمائي وثنايا قلبي ووجداني، إلى من لم أرَها يومًا ولكن دومًا تخيلتها ملاكًا يرتدي ثوبَ بشر .

إلى الجُندية المجهُولة التي كانت وقودي دومًا لأُصبح أفضل وأفضل؛ إلى من سحرتني وجعلتني أسيرًا لها ، إلى من جعلتني أتنفّس حُبَّها وأحيا من أجلِها..

إلى ابنتي الغالية

لم أجِد أغلى من اسمك لأجعلك بطلة هذه الرواية، أتمنى لكِ دومًا أن تصبحي في أفضل حال وأن لا يُقسم لكِ ظهر في حياتي وبعد مماتي، أنتِ الأسطُورة الحقيقية التي ستظل خالدة.

وإلى زوجة آمنت بي ووافقت أن تخوض المغامرة معي بالحياة الآمنة بالاستقرار الوظيفي إلى حيث يحلو الكاتب بالآفاق، لا يتملكه مالك أو يقيده شيء، ويكفي أنها تحملت أسوأ ظروفي وأمزجتي المُتقلبة بين الحين والحين، شكرًا لكِ على مساندتي دومًا.

إهداء خاص جدًا إلى

أمي الغالية، التي تعبت وبذلت الكثير من أجلي فكانت نعم الأب والأم لي فهي من صنعتني ودائما ما كانت تتنبأ لي بمستقبل باهر منذ الصغر وتقول لي: "من عاش معاناة الصغر كان له شأن عند الكِبَر" ،

فكانت الوقود لي لأتخطى أسوأ مراحل حياتي وكلمة "شكرًا" أو مجرد إهداء لا يوفيها حقها ولكن أردتها أن تكون دومًا بإهداءاتي.

وإهداء

إلى أخي العزيز أحمد الذي قرأ لي وهو لم يكن يهوى قراءة الروايات وقال لي: استمر استمر ولا تتوقف.

وإهداء إلى

أمّ آمنت ورأت أن الحب الحقيقي بإسعاد ابنتها بزواجها بمن تحب رغم كل الظروف.

وإلى أب لم يمانع بل ساعد بإتمام هذا الحب بالزواج.

شكرًا حمايا وحمائي.

إهدَاء خاص مِن القَلب

إلى كل من تَمَنوا أن يَحيوا بِسَلام ولَكِن لم تَتَرُكهُم الحَياة لِسَبيل حَالِهم.

إلى كل مَن تَذَكر أن حَالَه سَيظَل كَما هو وليس بعد الظلام نور.

إلى كل إنسَان ظُلِم ودُهِس وشَعر بأن هذه الحَياة قَاتِمة سَوداء لا خَير فيها.

إلى كل مَن لا يُرِيدون أن يَحيوا بِهذه الحَياة ويَشتَاقون إلى حياة أُخرى غير هَذِه الحَياة القَاسية.

إلى كل إنسَان يَشعر بِغُربة وَسَط أهلِه.

إلى كل حَبيبَين افتَرقَا بسبب عادات فَرَضَها عَلَيهما مُجتَمع عَقِيم..

أهدي لهم هذه الرواية

"محمود كمال"

(الحَياة مَليئَة بلَحظَاتٍ مِن الأَلم، لَكِنَنَا لاَ نَستَطِيع الإنكَار أنه بِدون الأَلم مَا عَلِمنَا مَذَاق السَعَادة) .

(١)

" ما قَبل النهاية "

القاهرة ٢٠٢٥

(آن لك أن تَعِي أنه لا أحد يُمكِنَه الهَرَب مِن المُقَدَّر له، لأن كل خطوة ونَفَس مَكتُوب بِالكِتَاب ومَا نَحنُ إلا مُجَرد أسبَاب وخطوات نَخطُوها مِن أجل أن تَصِل بِنا لِقَدرِنَا المَكتُوب مِن الأزَل) .

نظرت الأم إلى ابنها الذي يرقد طريح الفراش بالمشفى على النقالة التي سَيُنقَل بِها إلى غرفة العمليات لإنقاذ حياته من الموت، وهو في حالة يرثى لها والدم ينزف من بين ضُلوعِه كأن صنبورًا من الماء قد أُغْدق على مصراعيه، قائلة بحزن ودموعها تَنَهمِر مِن بين ثنايا عينيها:

- "مقدّر لك يا بُني أن تتجرع أسى الحياة من البداية للنهاية، وكأنه ليس مِن الممكن لك أن تصبح مِثل عامة الخلق، هم بشر من صنف، وأنت بشر أيضًا لكنك مُختلف عَنهم اختلاف السماء والأرض، الجميع وُلد يبكي ثم ليَضحك، وأنت وُلدت تبكي وظل البكاء مُلازمًا لك، كأنه أقسم أن لا يفارقك.

آاااه يا بُني مِن صعوبة طريقك الذي تعانيه، الجميع له أب وظهْر يستند عليه وأنت جِئت وحيدًا رغم أن لك أبًا حيًّا يرزق، لكنه تركك لأنه لا يعلم معنى كونه أبًا ليحنو على ابنائه، كل ما أراده هو فقط مصالحه الخاصة وأنا مَن فضّلت إبعادك عنه كي لا تصبح شيطانًا مِثله، ولكن اتضح أن العِرق دسّاس وما كان بوسعك أن تكون مِثل عامة الناس.

كَبُرت يا بُني واشتدّ عودك معك وكثيرًا ما حذرتك من صدمات الأيام ولطالما كان لديك إصرار أن تعاند وتكابر وتناطح بالعالي، وأنا أعلم أنك ظُلمت كثيرًا وظننت أن الفقر هو السبب وأنه العيب والعار الكبير، لكنك الآن بين الحياة والموت.

قل لي ماذا فعلت لك كثرة المال وهو أصله من حرام؟!.. انظر إلى أين أودى بك أنت وزوجتك وابنك".

ثم أخذت تبكي بِحُرقةٍ وأَلَم قائلة: "أفق يا بُني وأصلح طريقك، أفق وكن

قويًّا على الموت وإياك أن ترضخ له، قاوم يا بُني وإياك والرضوخ له".

كان أحمد يسمع كلام أُمه كله -وهو بين الحياة والموت- ويريد أن يتكلم، لكنه لم يَكُن قادرًا على شيء إلا أن يكون جسدًا هامدًا... فقال في نفسه:

"آه يا أُمي لو تعلمين كَم كُنت أُقاوم مُنذ زمن ولكن لا أحد كان يشعُر بي، كنت أقاوم فقط كي لا أكون مِثل أبي، ولكن يبدو لي أن طِباعه قد غُرِست بي حتى النُخاع، شأن ما يسمونه "بالجينات الوراثية" لا دخل لي بها، أو أُخبِرِكِ شيئًا: **"هم البشر مَن يغيرون أجمل الأشياء التي نحيا بِها بِداخِلنا، ألا وهي قلوبنا ."**..

كان لا بُد لي أن أتحول، أن أصبح بأنياب حادة لأستطيع العيش في هذه الدُنيا يا أُمي لأن؛ **هذه الدنيا لا تصلُح للطيبين أمثالكِ، هذه الدُنيا يصلح مَعَهَا مَن يسير بِها بِقَلب مَيت ليستطيع العيش بها**، والأكثر مِن ذلك **أن الكثيرين يبدون أحياءً ولكن بداخلهم موتى، وقليلين أحياء بقلبٍ ميت ولكن بداخلهم حياة لا يعلم بِها غير أقرب المقربين.**

هذه الدنيا غابة تريد الوحوش، من كان نقي النفس بِها يكُن هو أول من يُدهس بالنعال ....

مهما كانت أهميته، قَدْرها ماذا بالنسبة لهم؟، وأنتِ تعلمين كَم كُنت أسير بجوار الحائط - بل ربما بداخله - وعلى الصراط المستقيم كما يقولون، ولكن بالنهاية ماذا جَنَيت؟

دُهست وكأنني حشرة في أنظارهم وقُهرت وظُلمت، وعندما سِرت عكس التيار وأعلنت الحرب ضد المبادئ والقيم السامية لم يُفكر أحد أن يعترضني،

بل وأصبحت من ذوي المقامات الرفيعة أو بالعامية (من البشوات)، آاه يا أمي وألف آاه، ولكن...

هل يا ترى سأقدِر على الموت الذي ينهش كل شيء بداخلي ويفتك بي الآن وأعود لحضنك مرةً أخرى أم لا؟..

كل ما أُريدك أن تعلميه يا أمي ..

"أن المكتوب مكتوب مهما حدث لا أحد يهرب من المُقدر له، لأن كل خطوة ونفس مكتوب بالكتاب وما نحن إلا مجرد أسباب وخطوات نخطوها من أجل أن تصل بِنا لقدرنا المكتوب من الأزل"..

يا له من شعور أن ترى نفسك على نقالة تُجر بك وحدك داخل غرفة يسمونها "غرفة العمليات"، وغير مسموح لأحد أن يرافقك بِها -إلا أنت فقط وأحد الموكلين بتمريضك- كأنك تُقاد مَيتًا وتُساق داخل القبر وحدك، وملائكة الرحمة والعذاب يحاوطونك والآن ثمرة حياتك تجنيها، إما أنك ستخرج مِنها وأنت تضحك، وإما أن تخرج مِنها وأنت تبكي على ما أضعت من يديك من فرصٍ للنجاة".

والآن،، أنا أرى الأشياء تصغر بعيني شيئًا فشيئًا حتى عم السواد.....

التفتت الممرضة في ذُعر إلى الدكتور قائلة :

- دكتور... لقد توقفت نبضات القلب!

كانت الأم تنظر إلى ابنها من خلف الزجاج الذي يُحاوطُه بغرفة العمليات وتُشَاهِد كُلَّ ما يَحدُث بِالدَاخِل، وعلِمَت مِن وجه ابنها والشاشة التي يوصولونها بقلبه ونظرة الممرضة المذعورة للدكتور أن ابنها البِكري قد فارق الحياة.

ظلت عدة دقائق تُحَملِق غير مصدقة حتى تستوعب، وأسندت نفسها على الحائط تحاول الاستيعاب أن فلذة كَبِدها قد مَات، إلى أن وقعت أرضًا مُعلنةً عدم مَقدِرَتِها على مفارقة وَلَدِها الوحيد .

*****

(٢)

" ما قبل البدايات "

١٩٨٧

(وبَعد أن تَصِل لِأرذَلِ العُمر سَتَعلَم أن السَنَد الوَحِيد هو "الله") .

بعد يوم مليء بالإرهاق والتعب والسير في جميع أزقة المحروسة من أجل لقمة العيش، عاد الحاج "محمد" إلى المنزل بعد منتصف الليل بعدما أنهى عمله، ووجد ابناءه يجلسون كُلا مِن نعيمة، وحسين، وأسامة، يستمعون لحفلة أم كلثوم على الراديو وهي تقول: "أهل الحب صحيح مساكين... صحيح مساكين ".

دخل عليهم وبعد أن نظر إليهم وهم يجلسون فقد شعر بأن كل تعب اليوم قد أُزيل من على عاتِقه ثم ابتسم قائلًا:

- خير يا مساكين، أخبروني كيف حالكم؟

نظرت نعيمة لوالدها وقالت:

- الحمد لله يا أبي، بخير ما دُمتَ بخير ..

ثم نظر كُل مِن "حسين" و" أسامة " لبعضهما البعض كأنهما يُرِيدَان قَول شيء ما، ولكن التردد يَمنَعهُما وعِندَما نَظَر لَهُما الوالد فَطِن أنهما يُرِيدَان التَحدُث عَن أمر ما، ثم جلس أمامهما قائلًا:

- لِمَ التَّرَدُد فِيمَا تُرِيدَان قَولِه؟، أم أن الخَوف يَمنَعكُمَا مِن التحدث؟... أم، لم تعلمَا أنني أعلم كل شيء.

نظر كُل مِنهُمَا لِلآخر بِدَهشَة ثم تَكَلَم أُسامة -الأخ الأكبر- قَائلًا:

- مَا الذي تَعلَمُه يا أبي؟

- أعلم أنَكُمَا سَتُسَافِرَان بِنِهَاية هذا الأسبوع إلى إيطاليا.

نظرت نعيمة بدهشة غير مصدقة ما تسمع.. ثم قالت:

- يُسَافِرَان؟ كَيف؟ كَيف يا حسين أنت وأسامة؟ هل هذا صَحِيح؟

ثم تَكَلَمَ والِدهُم رادًّا على ابنته نعيمة:

- نعم صحيح يا نعيمة للأسف، أخَواكِ سَيترُكَانَنا لأنهما مُتَبرِّمَان مِن مَعِيشَتنا ولا يَرضَيان بِها وكِلاهُمَا يُرِيد السفر حتى يهرب مِن واقِعه، ولكن للأسف ما لا يعلمانه أن الرِّزق هنا مِثل هناك؛ ومن لا يرضى بما قُدّر له بوقته الحالي لن يرضى مهما فُتحت له الدنيا من أرزاقها

يبدو أن حِسبَتي كَانت خَطأ عِندَما كُنت في مِثل عُمرِكُمَا ألهث وأريد بشدة أن يرزقني الله بأولاد حتى يكونوا لي سندًا.. وبعد هذه السنين علِمت أن السند الوحيد هو الله. وأن البنت بـ مئة رجل ويكفي أنكِ تعملين وتساعدين بالبيت وأخواكِ للأسف جالِسان متكبِّران على العمل لأنهما ذوا شهادات عُليا وحاصلان على البكالوريا ويخجلان من أبيهما الذي يعمل سائقًا بسيطًا.

رد حسين مجيبًا:

- ما هذا الذي تقوله يا أبي؟! نحن لا نتكبر لكننا قد أُرهقنا بالدراسة طوال السنين السابقة.... كيف لنا أن نعمل بأي عمل لا يليق بنا؟... بالطبع نحن لا نستعِر مِنك ولَكِننا وجدنا أنفسنا في مجتمع حينما نُسأل عن مهنتنا يحتقروننا ويقللون من قيمتنا.. من أجل هذا نريد أن نرحل عن هذه البلدة وتفريقاتها العنصرية..

ثم أكمل "أسامة" ما بدأه أخوه "حسين" قائلا:

- نعم يا أبي ، "حسين "يقول الصواب وقل لي ماذا نفعل هُنا ونَحن لا نملك شيئا؟؟ هل تريد أن نضرب بشهاداتنا عرض الحائط ونعمل معك كسائقين؟

نظر لهما والدهما آسفًا لحالهما قائلًا:

- للأسف المجتمع صوّر لكما أن من يعمل عملا بسيطا أنه شيء مُهين ولكن تناسوا أن الله لا يفرق بين فرد وآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح وليس بالوظيفة، وتناسوا أن الله يحب الأيدي التي تعمل وتكِد... للأسف المجتمع تناسى أنه ما دام العمل حلالا فإنه لا يعيبه شيء.. ولكن أين نحن من تعاليم الدين؟ وعملي هذا الذي تخجلون من قوله للناس، بسببه نشأتما وتعلمتما وكبرتما حتى أصبحتما رجلين، ولكن الرجولة الحقيقية هي عندما يصبح الشاب متحملًا للمسؤولية، يخشى الله قبل أن يخشى كلام الناس، يفعل ما يرضي الله وكفى، وأنا لا أريد مِنكُمَا أن تَضرِبا بشهاداتكما عرض الحائط، ولكن العقل يقول أن تستغلا الإمكانيات المتاحة في الوقت الحالي إلى حين أن يرزقكما الله بالأفضل، ولا بد لكما أن تعلما أنه لا يوجد عمل أفضل من عمل؛ لشيء واحد فقط وهو أن الله خلقنا وسخرنا مكملين بعضنا بعضًا، فأنا أحتاج للدكتور ليعالجني والدكتور يحتاج لي لأصل بِه للمكان الذي يريده، وكُلانا نحتاج لعامل النظافة لأن بدونه تصبح الدنيا فوضى عارمة من القمامة، وكل إنسان يُتقِن عَمله ويعلم خباياه هو دكتور بهذا العمل...

وهكذا الدنيا ما هي إلا ترس كبير وكُل يعمل لما خُلق له، والجميع سواسية أمام الله يا ابنائي، ولكن بالنهاية افعلا ما تريدان... وفقكما الله لما يرضيه، أما أنا وأُختكُمَا فالله يتولانا..

نظر حسين لأبيه قائلًا:

- كلِماتك هذه يا والدي ما هي إلا شِعارات تُردد ولا أحد يعيها ولا أحد

يعمل بِها، وأنا سئمت من كل هذا فأنا أُريد أن أُسافر لمجتمع يُقدِّر الإنسان وكفى.

نظر له والده قائلًا:

- هذه ليست شِعارات يا حسين؛ هذه قيم وتعاليم دين، وجميع الأديان تُنادي بِهذا.

- أي دين يا والدي تتكلم عليه، انظر إلى المجتمع الذي أصبحنا بِه يُصلّون بالمساجد ثم يخرجون يكذبون، ينافقون، يسرقون، يغتابون، ويزنون، وتقول لي "دين"؟

ثم نظر له والده بأسى قائلًا:

- تناسيت أنك لا تصلي يا بُني ويا أسفاه.

- نعم أنا لا أصلي ولكن أنا أفضل مِمَن يُصلي ويفعل كل هذه الأفاعيل، وأليست الصلاة تنهى عن الفحشاء والمُنكر؟، لِم لا تنهاهم صلاتهم؟، أم لأنهم يصلّون فقط لا يهم شيء بعد هذا ولهم أن يفعلوا ما يريدون لأنهم سيدخلون الجنة.

- ليس لنا أن نتدخل في أعمال الناس ونبحث عن نواياهم، كل إنسان مسؤول عن نفسه يا بني، وكل ما أقوله بعد ما اتضح تفكيرك هذا الله ربي يسترها عليك ويُعيدك للرشد والصواب.

*****

(٣)

"مَا بَعد النهاية"

يناير ٢٠٥١

" سَتَظل كَلِمَاتي تَنتَظِر يَومًا لِتَقرئيهَا لتَنعُم بِعَينيكِ فَلا تَسألي كَيف كَان هَذا حُبًّا؟... وأنَا مَن أَظهَر جَفَائي لَكِ ولَكِن اعلَمِي أن الإجَابة سَتكُون بَين هَذِه السِطُور التي بَين يَدَيكِ الآن فَهَذه رِوايتي لَكِ اقرئيها بِعِنَاية لأنَكِ سَتَجِدِين جَمِيع الإجَابَات بِهَا."

وتَذَكَرِي دَومًا أنِي أنَا مَن أحبَبتك قَبل أن أرَاكِ..

عادت العذراء " آية " إلى بيتها أو كما يلقبونها بالحاجة آية لبلوغها ال٥٥ عامًا ولُقبت بالعذراء لأنها لهذا الوقت لم تتزوج بعد أن حَكَم والدها بِموتها بِرفض حَبيبها له لظروفه الاجتماعية والمادية وكل ذلك الهراء الذي دائمًا ما يتحججون به.

ما أصعب أن يسلبك أقرب الأقربين حق الحياة التي تريدُها بحجج واهية، مثل: "أنا أعرِف مصلحتك أكثر مِنكِ "... ولا يعلمون أن؛

كل ما يجيدونه فقط هو فن تدمير الإنسان جيدًا...

عادت " آية " إلى منزلها بعد تسوقها ليلًا بإحدى مكتبات محطة الرمل. فقد أصبحت رفيقة الكتب والأساطير لعلها تُنسِي نفسها ما كان من أمرِها، ولكن اليوم غير أي يوم فهي شاردة الذهن، ووجها يعتليه الدهشة والتعجب فقد بدّلت ثياب خروجها على عجلٍ وارتدت بنطالًا وقميصًا ومعطفًا أسود، وأسدلت شعرها ذا اللون الأسود اللامع الذي اعتادت دومًا أن تصبغه بعد أن بلغ منها العُمر مبلغه، وجعل الشيب يعتليها وأمسكت بكتاب اشترته من إحدى المكتبات وجلست بالشرفة ذات الحائط ورديّ اللون، والستار ذي اللون الزهري الذي يحجب رؤية البحر.

فرفعت الستار حتى تشاهد البحر والقمر معًا وأمسكت بالكتاب بين يديها وهي ترفعه أمامها، وخلف الكتاب مشهد البحر والأمواج، وكان الكتاب بعنوان (**لَم يَجمَعَنَا القَدَر**) للكاتب "أحمد بركات"...

وخلف الكتاب مكتوب: هذه روايتي لكِ اقرئيها بعناية لأنكِ ستجدين جميع الإجابات بِها.

استوقفها ما هو مكتوب وقالت وهي مُمسِكَة بالكتاب وتَنظُر للبحر:

- أيُعقل أنه بعد كل هذه السنين أنك ما زلت تحبني يا أحمد؟

ثم قالت في نفسها: "ولِم لا؟ فأنا حتى الآن عاشقة لك ولم أنسَك ولم أتزوج فقد اعتبرت أن **الزَّوَاج بِمَن لا نُحب جَرِيمَة وخِيَانَة فادِحَة وكَان مِن المُفتَرَض أن يسنوا بالقوانين عِقَابًا لِمَن يَأخُذ شَيئًا لَم يَشتَهِه، ولَكِنه يَشتَهي شَيئًا آخَر.....**

فَمَا أَكبَرهَا خِيَانَة أَن تُعَانِق شَخصًا كل يَوم وَتَحتَضِنَه بَين ثَنَايَاك وتُخبِره بِـ حُبك و أَنت مَشَاعِرك لِشَخص آخَر...

ولكن رغم كل ما كان مِنك فأنا أُحِبك حَتَى الآن وأَعلَم مَا كَان وأَني مَن كَان سَبَبًا في إِبعَادِك والآن أُعاقَب طِيلَة حَيَاتِي بِالوِحدَة.

جلست" آية "على مقعدها الهزاز الخشبي وهي تُمسِك بالكِتَاب الذي سَتَتَعَرف بِه على ما كَتَبَه لها حَبِيبها، ولماذا خَصّها وَحدَها بالرِّوَاية وكَأنه كَتَبَها من أَجلِهَا.. هي فقط.

وكأنه أراد أن يرسل لها جوابًا ولكنه لم يعلم كيف يصل لها.. فكتب رواية بينما يكون ما كتب حقيقيا أو اختلق قصصا حتى يوجه لها رسالة داخل كتابه الذي يقرؤه العالم بأكمله.

وكأنه يُكفّر عن السنين التي مَضَت بدونها، وهل اختلق قصصا أم ماذا سيكون....؟

فتحت "آية" أولى أوراق الرواية وكانت المقدمة بخط واضح وكبير كُتبت وكانت المقدمة:

"أُرِيد بَعضًا مِنَ الوَقت لِكَي أَحيَا الحَيَاة الَتِي أُرِيدهَا وَلَكِن هَا هو أَجلِي قَد اقتَرَب إليّ وَحَان، وَعليّ الآن أَن أَستَرِق أَنفَاسِي الأَخِيرَة، وَدَاعًا بِلَا رَحِيل، وَدَاعًا يَا مَن سَكَنَتَي طِيلَة سِنِين عُمرِي، وَدَاعًا يَا مَن جَعَلَتني غَرِيبًا وَسَط أَقرَب الأَقرَبِين، الآن فقط أَعتَرِف أَني أَحبَبتك في صَمت طِوَال هَذِه السِّنِين العِجَاف وَلو عَادَت روحِي لأَحبَبتك وأَعلَنت حُبي لَكِ أَيضًا بَعد مَوتي، فَالحُب الصَادِق حَقًّا هو أن تُحِب وَلاَ تَطلُب مُقَابِل حُبِّك شَيئًا، الحُب الصَّادِق هو أَن تُعطِي، لاَ تَأخُذ، الحُب الصَادِق هو أَن تَرسِم سَعَادته وَبَسمَته لِمَن يُرِيدُه وَيَعتَقِد أَن هَذَا هو الذي بِه سَعَادَته.

فَأنَا لَم أَقُل لَكِ مِن قَبل أَني " أُحِبك"، والآن بَعد مَا بَلَغ بِي العَجز مَبلَغه أَقول لَكِ أَني أُحِبك بِصدق يَا آيَة الله في هَذِه الأَرض.

توقفت آية عند هذه الجملة وهي مُندهشة وتبتسم وعيناها أيضًا امتلأتا بالدموع ولا تعلم هل هي سعيدة بإعلان حبيبها لحُبه بعد هذه السنين.. أم حزينة على الفقد والحرمان.. أم حزينة وتدمع عينها على أن من يكتب هذا قد يكون على مشارِف نهاية أيام حياته أو رُبَما يكون قد فارق الحياة..

أخذت تُكمل قِراءَتَها...

فَالآن أَترُكِك و أَقول لَكِ وَدَاعًا فِي صَمت
وَتَذَكَرِي أَني أَنا مَن أحبَبتك دُون أَن أَرَاكِ.
الجَمِيع يَعشَق الجَسَد قَبل الرُوح وَلَكِنني عَشِقت روحك دُون أَن أَرَاكِ؛ لأن فِي قَامُوسِي أَن الجَسَد فَانٍ وَالروح بَاقِية إِلى أَبَد الآبِدِين.
وَهَا أَنَا أَمُوت، وَلَكِن سَتَظل كَلِمَاتي تَنتَظِر يَومًا لِتَقرئهَا لتَنعُم بِعَينَيكِ.
ولأني أَعلَمَ أَنَكِ تُؤنِسِين وِحدَتِك بِالكُتُب وَكَان لِي أَكبَر شَرَف أن تَلتَقِي كَلِمَاتِي بِعَينَيكِ البَرَاقتَين، وأَن تُلاَمِس يَدَاكِ الطَاهِرتان كِتَابِي.. وَلِتَعلَمِي أَني أَمسَكت جَمِيع النُسَخ وَوَضَعت بِها رَائِحَتِي حَتَى تَتَذَكَرِينِي دَومًا وَكَتَبت لَكِ فِي نِهَاية المُقَدِمة بِخَط يَدِي:
إِهدَاء إِليكِ
فَأَنَا لا أَعلَم.. هَل سَيَكُون بَينَنَا لِقَاء فِي هَذِه الدنيَا أَم سَيَكُون مَوعِدنَا بِدُنَيا أُخرَى لَيسَت وَضِيعة مِثل هَذِه، لا تَسرِق أَحلاَمَنَا وَلا تُحَطم آمَالَنَا وَلا يَتَحَكم بِهَا أُنَاس لا يَعلَمُون مَعنَى الحُب يَا حَبِيبَتِي، وَأَرجو أَن لاَ تَسَأَلِي " كَيفَ كَان ذَلِكَ حُبًا؟ " وَأَنَا مَن أَظهَر جَفَائِي لَكِ... وَلَكِن اعلَمِي أن الإِجَابة سَتَكُون بَين هَذِه السِطُور التي بَين يَدَيكِ الآن.
فَهَذه رِوايتي لَكِ
اقرئِها بِعِنَاية لأَنَكِ سَتَجِدِين جَمِيع الإِجَابَات بِهَا، لأَنِي أَعلَم أَنَكِ تَسعِين وَرَاء إِيجَاد ذَاتِك الحَقِيقِية..
وأَعلَم أَن كل مَا أَنتِ بِه الآن مَا هو إِلا وَهم وَزيف...
وأَعلَم أَنَكِ تَسعِين وَرَاء عالَمٍ آخر غَير هَذَا العالَم المُتلون المَلِيء

بِالصخَب والتزيِيف..

إهدَاء

إلى آيةَ الله فِي أَرضِي وَسَمَائِي وَثَنَايا قَلبِي وَوِجدَاني إلى مَن لَم أَرَهَا يَومًا وَلَكِن دَومًا تَخَيلتُها مَلَاكًا يَرتَدِي ثَوب بَشَر.

...أَحمَد السيِد بَرَكَات...

وما إن انتهت من المقدمة، كان وجهها قد انهالت عليه دموع تملؤها مشاعر متضاربة..... حب، فرح، حزن، فقد، صمت، ندم!!؟؟

ثم نظرت إلى البحر الذي عَلَت أمواجه قائلة:

- ومن أجل ذلك أحببتك يا أحمد، فأنا أعلم أنك صادق ولم يَخِبْ ظني بِك يومًا... وحين أخبرت أهلي: "أنكم أفقدتموني أرجل وأشرف وأطهر إنسان" كنت مُحقة أنهم لم يسلبوني اختياري بل أسلبوني روحي وحياتي.

وَمَا أَصعَب مِن أن تَعِيش بِدُون رَوح تُؤنِسك؟

ولكن للأسف الآن تركوني وذهبوا جميعًا يا أحمد، **ولم يَبقَ لي أَحد..**

أما إخوتي كل مِنهُم تَزوج وأصبحت له حياته الخاصة ولا يسألون عني إلا من حين لآخر، لماذا يا أحمد فعلوا كل هذا بِنا؟ لماذا؟؟

لَعَلي أَجِد الإجابة على كل تساؤلاتي بكتابك مِثلَمَا ذَكَرت...

ثم نظرت لصفحات الكتاب وواصلت القراءة.....

أيَا مَن أَحبَبتكِ دُونَ أَن أَرَاكِ

سامِحيني على أَني فِي يومٍ مَا كُنت قَد قَطَعت على نَفسِي عَهدًا أن لا أحكِي عَنكِ

ولا يعرف أَحد بِحُبي لَكِ لأَنكِ؛

كُنتِ لِي آية مُقَدسة، لا بُد لِي أَن أُحَافِظَ علَيها مِن ظِل هَؤلاَء البَشَر..

فَأنتِ كُنتِ حَقًّا اسمك آية وَكُنتِ لِي آية وكأن جَمِيع آيات الله في الأرض تَمَثلت بِكِ...

فسامحيني على أنني اختلقت مُبررًا في رو ايتي لكِ من أجل أن أعيش و أتنفس.. فإنني لو لم أختلق مُبررًا بِهذه الأحداث التي تَخُصكِ - التي كثير مِنها لم يحدث من الأساس-، كُنت سَأمُوت في الحَال ولَم أقدِر على مواصلة الطرِيق وَحِينَها مَا كان لَكِ أن تَعلَمِي شيئا عن رِوَ ايتي لَكِ لأنني كُنت سَأُصبِح مَيتًا...

*****

(٤)

" ما قبل البداية "

يناير ٢٠١٢

الاحتِيَاج الشَّدِيد لِلحُب هو الَذِي يَجعَلنَا نَتَعَلق بِأَول يَد تَمتَد لَنَا وَنَظَل دَائِمًا سُكَارَى لِهَذَا الحُب

لَيس لأَنَه أَوَل حُب بَل لأَنَه أَوَل دَقَةٍ لِلقَلب جَعَلَتك تَعلَم أَنه يَنبُض..

ولأنهَا هِيَ أَطهَر ابتِسَامَة أَنتَ ابتَسَمتَهَا عَلَى هَذَا الكَوكَب..

لأَنَكَ وَقتَهَا فَقَط عَلِمتَ أَن سَعَادة الحَيَاة الحَقِيقِيَة فَقَط عِندَمَا تَجِد مَن يُسَانِدك فِي أَصعَب حَالاَتِك.

عاد أحمد بعد يوم مليء بالتعب فهو يعمل بالصباح كاشير بأحد محلات البقالة ويعمل بعد الظهر بائعًا بأحد محلات الملابس حتى يستطيع أن يُساعد نفسه وأُمه التي خرجت على المعاش ولا تتقاضى إلا ملاليم من الجُنيهات لا يستطيعون حتى توفير نصف أدويتها، ويُساعد أيضًا بمصاريف جامعة أخته الصغيرة يتيمة الأب أيضًا مِثله.

جلس أحمد بعد أن أخذ حمَّامًا دافئًا على الكمبيوتر الخاص به ليتفقد صفحته على الفيس بوك، فهي عالمه الذي يعيش به بعيدًا عن الثرثرة التي أصبح المجتمع بِها من بعد ثورة ٢٥ يناير، فالجميع أصبح - بقدرة قادر- "دكتور سياسي"، الجميع يثرثر ولكن من يعي ويفهم؟

أخذ يشاهد الأحداث بصمت فلا شيء يستدعي الغضب، فكل فرد يسعى دائمًا لمصالحه الشخصية وللأسف من يسعى للعامة ويصدُق بدون رياء هو من يدفع الثمن، فكان أحمد دائمًا يقول: "لماذا أُعكر من صفو مزاجي على أشياء تخصهم هم وليس نحن، حتى الأشياء التي تَمَسنا فإن لم تتغير فعلينا تقبل الأمور والمعايشة لأننا إن لم نتقبل ونتعايش فسنموت قهرًا ووقتها.. ماذا يفيد؟".

بل من العقل التأقلم على قمة الظلم وأن نصبح ذوي مراكز قوة حتى نستطيع وقتها على التغيير الحقيقي، أما إن ظللنا نهتف من برج عالٍ ونحن بلا قيمة أو شيء يذكر، فسوف نثرثر من هنا إلى أن نمَلّ.

وبعد أن فتح الفيس بوك وجد طلب صداقة أشعَره بالغرابة، لفتاة تضع على واجهة صفحتها صورة لكف يد سمراء بداخل ملهى أطفال، فتعجب جدًّا لأنه من النوع الذي يبحث عن السبب.. ولماذا لم تضع مثل العامة صورتها

الشخصية، أو صورة لفتاة أخرى إن كانت ليست من ذوات الحسن والجمال؟

نظر إلى معلومات صاحبة الصفحة وجد أنها تُدعى (آية) ثم ضغط بالزر على استكشاف صفحتها ليكشف ستارتها ليعلم أي نوع من الفتيات هذه؟

وبعد بضع دقائق من تصفحه لم يستنتج إلا أنه أمام شخصية غريبة! لا تُجِيب على علامات استفهاماته، فلا توجد صورة لها ولا مكنون يدل عليها، وكل منشوراتها بِها من الغموض والوجع، منشورات تجعلك لا تفهم هذه الشخصية أو بالأدق لا تدُلك عليها..

استوقفته عبارة مكتوبة أسفل اسمها الشخصي:

"عِندَمَا يَحِينَ الوَقت سَتَعشَقني دُونَ أَن نَلتَقِي، وَبِدُون أَسبَاب لأَني كُتِبتَ بِقَلبِكَ مِن فَوقِ سَبعِ سَمَاوَات.. فَحُبنَا لَن يَكُونَ مِثلَ أَي حُب تَافِه بَل سَنُصبِح أُسطُورَة تُحكَى وَتَتَحَاكَى بِهَا فَهَل أَنتَ جاهِز لِهَذِه المُغَامرة؟"

تعجب أحمد ورفع حاجِبيه باندهاش وقال في نفسه: "كلام شعارات.. وهل يوجد حب بدون رؤية وتلاقي أنظار العيون وسحر الجفون؟!".

وقف أحمد أمام العبارة مرة أخرى في حيرة من أمره فقرر أن يُرسِل لها رسالة وبالفعل كتب لها: "شكرًا على إرسالك طلب صداقة لي وأتمنى أن تكوني بخيرًا وأن أعرفك أكثر وأكثر".

جلس ليرى أي رد فلم يجدها -نشطة الآن-، وجلس أكثر من ساعة يتصفح أي شيء ليجلس فقط.. فهو من ذاك النوع الذي لا يهدأ حتى يصل لغايته.. فهو يريد دخولها لترد على رسالته ويتكلم معها، رغم أنه لم يسعَ وراء فتاة من قبل أو بالأصح لم تجذبْه أي فتاة، وكان دائمًا يرى من تحادثه وتريد التعرف عليه ما هي إلا مجرد فتاة لاهية تريد أن تعيش بقصة حب مثل

الأفلام وأن تُشبع غرائزها الأنثوية وكفى، ولكن كان دائمًا ما يتجاهل لأنه كان لا تشغله الغرائز الدنيئة، وهو ليس من الأشخاص الذين يبحثون عن فريسة لافتراسها، حتى من يعملون معه بالعمل شكوا بِه يومًا أنه كيف لا ينظر للفتيات وأجسادهن؟ فهذه طبيعة بالرجل ولكنه هو كان بِخلاف الآخرين، كان كل ما يريده أحد يثق به يتحدث معه عن حياته وعن كل ما بِها من متاعب وبعد أن قرر أن يغلق الفيس وجد رسالة مِنها بعد منتصف الليل تقول:

"أنا أعتذر لك... لقد أرسلت لك طلب صداقة بالخطأ".

ثم حاول تصفح صفحتها فوجد أنها ألغت الصداقة بينهما على الفيس، ظل ينظر متعجبًا سائلًا نفسه:

- ما هذه الفتاة ؟

هل تفتعل مثل هذه الأشياء حتى تُثبت أنها غير الأخريات؟

ثم أرسل لها:

- "وما الخطأ في إرسالك طلب الصداقة، أنا لم أنزعج بل أرحب بصداقتك".

وبعد أن رأى أنها قرأت رسالته، وجد رسالة أخرى ترد عليه بِها قائلة:

-عفوًا أنا لا أُحادث الشباب لأن هذا لا يجوز، وأنت تعلم أن كل من تُحادث شابًا ماذا يُقال عنها؟ وكيف يُنظر لها؟

قرأ ما كتبت واندهش ثم كتب لها:

-أعلم جيدًا أن محادثة البنت للشاب لا تجوز لأن الله لا يرضى بهذا وأنا لدي أخت وأخشى عليها، ولكن نحن على شبكة لا يعلم أحدنا وجه الآخر، ولا

رقم هاتف ولا أي شيء وأنا صراحة أُعجبت بشخصيتك الغامضة وكلامك هذا يدل على أنكِ فتاة محترمة حقًّا فأنا أريد أن أتحدث معكِ وأفضفض ليس إلا لأنني لا أصادق أحدًا، فالشباب الآن جميعهم ينغرقون بملذات الدنيا وأنا لا تهمني هذه الدنيا غريبة الأحوال، فأنا مُنشغل بعملي فقط لأساعد أختي وأمي المُسنة بعد وفاة والدي وأنا لا أريد مِنكِ شيئًا إلا أن تستمعي لي وأستمع لكِ وكأن كل مِنا يُحادث نفسه".

ظلت تنظر لِما كتبه وتفكر في أمرها قائلة في نفسها:

- ما هذا الشخص الغريب أيُعقل أن يوجد شاب في هذا الزمن مثل هذا التفكير؟ ولا يوجد لديه أصدقاء؟ هل حقًّا محترم لهذه الدرجة! أم يَدعي الفضيلة؟ فعلىَ العموم لا بأس لنرى ما هذه الشخصية التي أرسلت لها طلب صداقة بالخطأ؟

ثم كتبت له قائلة:

- أمممممممم على العموم لا بأس مما تقوله ولكن سنظل هكذا بدون صداقة إلى حين معرفتك جيدًا.

ابتسم أحمد أمام شاشة الكمبيوتر ثم كتب:

- موافق يا غريبة الأطوار...

ثم كتبت له:

- إن كنت أنا غريبة أطوار، فماذا تسمي نفسك أنت؟

- أنا أحمد السيد بركات من القاهرة أبلغ من العمر عشرين عامًا، لدي أُخت واسمها فاطمة تصغرني بعامين ولكن ليست شقيقة لي فأنا أعد وحيدا

ولي أم هي كل الدنيا أما عن أبي فهو ميت -على الأقل بالنسبة لي-، حصلت على دبلوم تجارة ولم أُكمِل حتى يكون لدي القدرة على مساعدتهما في المنزل ولكن عندما تسمح لي الظروف بالطبع سأكمل دراستي للحصول على الشهادة العليا، أُحب الرياضة، كمال الأجسام وكنت أمارسها فترة هي ورياضة الدفاع عن النفس وأحب السباحة، وأحب كتابة الخواطر وأحب أيضًا قراءة الكتب فبِها أشعر أنني أُحلق في الآفاق.

ابتسمت وتعجبت في نفس الوقت لأن اهتماماته نفس اهتماماتها ماعدا بالطبع كمال الأجسام، ثم كتبت محاولة تخفيف العِبء عن هذا الشخص الذي أمامها، فَمِمَّا استشفته من جملته التعريفية القصيرة والتي توحي بكَم من المعاناة والفقد الذي يعانيه، ومن الواضح أنه يتعطّش لأي فرد ليتحدث معه.

-كل هذا اسم لنفسك "يا راجل حرام عليك دا لو جهاز كمبيوتر مش هيعرّف نفسه كده"، هههههههههه ولكن أخبرني؟

ماذا تقصد بأن أباك يعتبر ميتًا؟ ما هذه الجملة؟ لم أفهمها.

صمت ونظر إلى سؤالها وعن التفسير الذي تريده، وأحس أنه ما كان ينبغي أن يقول أو يذكر شيئًا عنه، ثم لاحظت هي شروده وعدم كتابته فكتبت له قائلة:

- آسفة، لم أقصد أن أستفسر عن شيء من الممكن أن يُزعجك ولكن أنت أيضًا غريب، أشعر أنك من كوكب آخر يا أخي.

ابتسم من جملتها بعد أن كاد يتذكر حياته التي بِها من السواد ما بِها، ثم

رأى ما كتبته وهي تتحدث عن نفسها.

-أما عني .. فأنا آية يوسف نصار، من الإسكندرية أبلغ من العمر -ولا تسخر مني من فضلك- ١٦ عامًا في الصف الأول الثانوي.. ولدي من الإخوة: "أدهم" و"ياسر" و"عبد الرحمن"، ومن الأخوات: "منى" و"سارة " و"ترتيل"، وأحلم أن أكون ذات شأن كبير لأعوض أبي وأمي عن تعبهما معي، وللعلم اهتماماتي نفس اهتماماتك من أجل أن تفرح.. يا "أستاذ كآبة"...

ابتسم وكتب لها:

- نفس اهتماماتي حقًّا!!.. وبسم الله ما شاء الله اللهم لا حسد لديكِ عزوة كبيرة، ولكن هذا شيء رائع أنا أيضًا أُريد يومًا أن يُصبح لدي عزوة كبيرة.

- هذا هم يا أخي ومُتعب للأعصاب اسألني أنا.

- للأسف لا أحد يعجبه حاله أنتِ لديكِ عِزوة وتُريدي أن تنفردي بعيدًا عن هذا الصخب وأنا يُعتبر لا يوجد أحد لي، وأُريد أن يكون لي عِزوة تملؤ حياتي بالصخب حتى أشعر ما معنى الأهل وتجمعاتهم.

- لعلمك ليست الكثره هي من ستُشعرك بالأهل، فأنا مع كل هذا أشعُر بالوحده ولكن دعني أسألك ألا يوجد لك أهل غير والدتك وأُختك؟

- يوجد أقارب لوالدتي من بعيد ولكن عندما يجتمعون لا أشعر بأني مِنهم وأشعر بالوحدة ولا أعلم لماذا؟ فهم أقارب والدتي من بعيد وأنا ليس لهم شيئًا، لم أشعُر يومًا بإحساس كلمة (أهل) ولا يوجد أصعب من هذا الشعور.

أصعب شعورتواجهه على هذه الأرض عِندما تشعُربِغُربة وسط أقرب الأقربين لك.

أخذت تقرأ كلِماته وهي تَشعر بشعور مميت مما يقوله وعلِمت أنها في حال يتمنى غيرها جزءًا منه، ثم كتبت له قائلة:

-إن شاء الله تُرزق بأهل وعِزوة ووقتها لا تشتكي، المهم يجب أن أذهب الآن؛ لأن الوقت تأخر وأريد أن أصلي قيام الليل ونُكمل فيما بعد، وإذا أردت أن تكتب شيئًا، اكتب وسأرد عليك عند دخولي يا أحمد.

- حسنًا يا أستاذة آية سأكتب لكِ وتقبل الله مقدَّمًا.

- ما هذا؟ أحمد لا تقل أستاذة مرة أخرى، هل تريد أن أدعوك "يا عمو أحمد"؟

- أعتذر يا آية.. هل يعجبك هذا؟

- يعجبني يا أحمد.. قُم أنت أيضًا صلِّ ركعتين وأتركك في حفظ الله، سلام.

- سلام.

جلس يفكر ما سبب هذه السعادة التي غمرته... هل كان في حاجة شديدة إلى التحدث مع أي شخص؟، رغم أنه حتى الآن لم يحكِ شيئًا فما حدث لم يزد عن كونه مجرد تعارف ليس أكثر، ثم أخذ يُحدِث نفسه قائلًا:

-ما هذا التعارف الذي يغمُر الإنسان سعادة مِثل هذه؟، فأنتِ حقًّا تعارُفك جنة يا آية الله في الأرض.

ما هذا الذي أقوله؟ هل أصبحت شاعرًا بمجرد أن علِمت اسمها فماذا إن رأيتها هل أُجن؟

ثم وهو يهيم بمشاعره إذ فجأة وجد من تفتح الباب على مصراعيه بدون سابق استئذان قائلة:

- أحمد انجدني بسرعة، أمي وقعت على الأرض ولا ترد عليّ.

*****

(٥)

ما قبل قبل البداية

أغسطس ١٩٩١

" لا تَخَف مِنَ العَاصِي الَذِي يُظهِرَ عِصيَانَه، وَلَكِن اِحذر كل الحَذَر مِن مَن يُظهِر لَكَ الوَجه المَلَائِكِي في هَيئَة رَجُل دِين.

عادت من عَمَلِها وقد تبدل حالها ١٨٠درجة، فهي التي كانت تبتسم دومًا حتى في أحلَك الظروف والأوقات وكانت تؤمن بأن الله دائمًا عون لها وأن الله أعطاها كنزا عظيما ليربُطَها به.

جلست نعيمة تبكي وتنعي حظها وكيف أنها خُدعت في زوجها المتدين ذي اللحية التي تبين صلاح الحال وأنه من حفظة القرآن الكريم ويتكلم ب قال الله وقال الرسول، كيف لها أن تكتشف أنه نصاب، مزور نقود، وأنه من يسرق من راتبها بدولابها الخاص بها، كيف تصدق كل هذا وهي من كانت رافضة الزواج لأنها كانت ترى كل صديقاتِها اللاتي تزوجن لم يُكملن في الزواج كثيرًا، ومعظمهمن انفصلن في عامِهمن الثاني، وبعد إلحاح من أصدقائها بالعمل وبعد أن تقدم كثيرا زوجها الحالي: "السيد بركات"، وأظهر لها صلاح الحال وأنه سيقربها من الله ﷻ وسيساعدها في تربية ابنائهم بالمستقبل ووافقت على هذا الأساس، كيف بعد كل هذا تكتشف أن له وجوهًا عديدة؟

جلست لا تعلم ماذا تفعل هل تلجأ لوالدها الذي كان يرفض زواجها مِنه ولأنه كان لديه إحساس مريب تجاه هذا الشخص؛ فالأهل حقًّا لهم رؤية تتخطى نظرنا الداني أحيانًا ولكن لا نعلم هذا إلا بعد فوات الأوان...

فكرت أن تذهب إلى صديقة عُمرِها بمصر الجديدة وبالفعل نزلت واستقلت مترو النزهة من ميدان رمسيس إلى مصر الجديدة.

وصلت نعيمة إلى صديقتها سارة المُقربة لها والتي تُساندها في أصعب الأوقات مُرحبة بِها وقائلة:

- أهلا بِكِ يا نعيمة ماذا بك؟ أراكِ تأتين لي في أمر مهم وهذا واضح من معالم وجهك الشاحب.

- والله يا سارة لا أعلم من أين أبدأ ولكن أنا في قمة صدمتي حقًّا!

- لا تكوني نعيمة التي أعرِفها إن لم تمر بِكِ أيام شديدة البأس، اهدئي واحكي لي بهدوء الأمر كاملًا.

- منذ أيام بعد زواجي بالسيد بركات وهناك أشياء غريبة تحدث، أولها أرى أن نقودي تُنقص مِنها وأنا أضعها دائمًا بدولابي الخاص وقلت لنفسي أعتقد أني أنا التي لم أتذكر ما المبلغ الذي وضعته، الأمر الثاني أن السيد بركات كان يأتي لي ويقول لي لو معكِ نقود قديمة أعطيها لي وأعطيكِ جديدة، وكنت أتعجب وعندما نكون معًا بالخارج ونريد أن نشتري شيئا كان يعطيني النقود ويقول لي ادخُلي أنتِ اشتري الأشياء وأنا بانتظارك بالخارج وأفعل ما يقول حتى أنني أمس دخلت أشتري لي طلبات المنزل وكان معي من النقود التي أبدلها معي وأُفاجأ عند الكاشير أن يقول لي أن هذه النقود مزورة...

تعجبت وذُهلت وقالوا لي إما أن يمزقوها أو يبلغوا الشرطة عني، في هذه الحالة قلت لهم مزقوها طبعًا، وقُلت أكيد أن أحدا من أصحاب البقالات أعطاها لي فكيف لي أن أقول أن زوجي هو من فعل هذا؟، ثم أحسنت الظن وقلت من المُمكِن أن يكون لا علم له بِها وأن أحدًا أيضًا أعطاها له، وإذ أُفاجأ اليوم وأنا بالعمل بِمَن يأتي لي ليكتب شيئًا على الكمبيوتر ويشكي همه أن أحدًا نصب عليه مِن من يعملون بالإدارات الأخرى وقال اسمه السيد بركات.

صُعقت عندما قال هذا ولُجم لساني، فقلت له وأنا لم أظهر له أنه زوجي:

- يا رجل كيف هذا وأنا أسمع عن هذا الشخص كل خير وتعاملت معه وهو إنسان مُتدين ومُلتحٍ ويتكلم ب قال الله والرسول.

فغضب وتغير وجهه وقال بِحدة..

- هذه هي الكارثة؛ أننا كل من يتبع كلامه ب قال الله والرسول ونحكم عليه من مظهره الخارجي وأنه فقط يمسِك سِبحة ويتكلم بالدين فهو منزَّه ثم نقع في الفخ، أقسم لكِ أن هذا الشخص نصب عليّ في نقود أخذها مِني وعندما أبلغته أني سوف أشتكي الشرطة ولأني أعرف صديقا سوف يساعدني أعاد لي نقودي ولكن لن تصدقي أنها كانت جميعها مزورة وكان سيتم عمل محضر تزوير لي وكُنت سأُوضع خلف القضبان... لولا صديقي الذي يعمل في الشرطة توسط لي، وللعلم أبلغت صديقي بِه ولكن عندما تحروا عنه وحاولوا الإيقاع به لم يقدروا على إثبات دليل واحد ضده ولأنه ذكي لأبعد مدى لا يُتَصور فهو فنان في عدم إثبات شيء عليه ولكن يورط آخرين ليس لديهم ذنب بشيء إلا أنهم صَدّقوا كلامه المعسول..

توقفت فاغرة فاهي من هول الصدمة وتذكرت كل ما حدث لي ولكن حتى الآن أنا لم أصَدِّق ،أشعر أنني أكاد أُجن..

نظرت لها صديقتها سارة وهي لا يُغمَض لها جِفن عين من هول ما تسمع وهي أيضًا لا تُصَدّق وأنها هي أيضًا انخدعت في هذا الشخص ثم بعد صمت تكلمت قائلة:

- صديقتي أنا أشعر حقًّا بِكِ ومدى ما تعانيه فكيف أن إنسانا يعيش مع شخص وفجأة يكتشف أنه إنسان آخر ليس ما يعلمه عنه.. يكتشف أنه كان ساذجا وأن من أمامه وهم سراب لا شيء والأكثر صدمة أن يكون مِن من ينتمون للدين، أسأل الله أن يثبتك في هذا الاختبار الصعب وإياكِ مهما حدث أن تفقدي إيمانك بالله من أجل شخص صديقتي.

ثم اقتربت مِنها صديقتها لتمسح دموع عينيها وتحتضنها بقوة وتقول لها:

الآن لا بد لكي أن تواجهيه بكل هذا وأن تطلبي الطلاق ولا بُد لوالِدك أن يعلم كل هذا وأعلم أنكِ لا تريدين أن تُعلمي والدك بشيء لأنك من أصر على الزواج بهذا الشخص وهو كان يرفض بشدة وقال لكِ لا تلومي إلا نفسك بعد وقت طويل لأنك ستعلمين أنني كنت على صواب..

*****

عادت نعيمة لمنزلها بعد أن نفسّت كل ما بداخِلها لصديقتها فقد شَعُرت براحة شديدة وعادت وهي عازمة على أن تنهي اليوم كل شيء بهذا الشخص الذي تربطها به علاقة زواج.

وعندما وصل السيد بركات ودخل البيت وقفت أمامه قائلة:

- أهلا بك يا زوجي العزيز الذي توسمت بِه خيرًا واتضح لي أن إبليس يتعلم مِنه.

نظر لها ببرود قائلا:

- لأول مرة تقفي أمامي هكذا وما هذا الذي تقولينه أجننتي أم شيطان مسّك بكِ على هذا المساء.

- أنا من مسني شيطان أم أنت كنت هذا الشيطان، هل يُعقل أن رجل مِثلك يحفظ القُرآن الكريم ويتكلم بالله وبرسوله أن يَغُش الناس، أن يعطي زوجته نقودًا.. مزورة أن يسرق من راتبها.

- علمت الآن لماذا تفعلين كل هذا، أولا أنا لا أنصب على أحد وأخبريني بدليل واحد يقول هذا وليس ذنبي أن هناك أشخاصًا مغفلون يُضحك عليهم والقانون لا يحمي المغفلين وأنا لم أضرب أحدا على يده.

ثانيا النقود المزورة شيء عادي مثلها مثل من يصنعها، ما الفارق هم لا يعطوننا إلا الفُتات؟ ماذا علينا أن نفعل؟ وما المشكلة أن نعطي ورقة بجنية أو خمسة جنيهات مزورة لأناس معها آلاف الجنيهات لن تفرق معهم شيئا ولكن ستفرق معنا نحن.

ثالثًا ما المانع أن آخذ من راتبك، أنتِ زوجتي وكُلك ملكي أنا ولي أن أفعل أي شيء والدين يقول أننا واحد ولا تفرقة..

- دين؟! أي دين تتكلم عنه أنت؟، والله الدين بريء مِنك ومن أمثالك، أنا لا أصدق كيف تفعل كل هذه الأفاعيل وتصلي وتقرأ قرآن..

- هذه نكرة وهذه نكرة يا نعيمة أعترف أني أفعل أشياء خاطئة ولكن أفعل أمامها أشياء صالحة وهذه تمحو هذه.

- واضح أن أخي عندما قال مُعاتبًا والدي أنه لا يُصلي لأن من يُصلون يفعلون كل الأشياء التي تُغضب الله ويتلاعبون بالدين أنه كان مُحِقا وأنه كَرِه الدين بسبب أمثالك، وأبشرك أنك أنت وأمثالك من تتحملون هذه الأوزار.

ثم تكلمت بِحُرقةٍ وهي تنظر له قائلة:

والله أنا مصدومة مما تقول ومما أسمع مِنك وأقول أنك عار عليّ وعلى وجودك معي، طلقني يا سيد يا بركات.

وقف أمامها ببرود ليس معهودا ثم ضربها قلما موجعا على أثره ارتمت أرضًا ثم قال لها:

- لن أطلقك وإن كنتِ تريدين الطلاق فادفعي خمسة آلاف جنيه، غير هذا لا يوجد طلاق..

نظرت له قائلة وهي تنزف من فَمِها:

- أنت أقذر إنسان عرفته في حياتي، ولا تستحق أن تاخذ تأخذ لقب رَجُل..

وما إن سمع هذا حتى ضربها ضربة ببطنها على إثرها صرخت صرخة شديدة من الألم وفقدت الوعي.

*****

(٦)

يناير ٢٠١٤

"عِندَمَا يُصبِح الحَبِيبَان مُتَفَاهِمَين وَكُل مِنهُمَا يُرَاعِي الله في الآخر
وَيُصبِح كُل مِنهُمَا روحا وَاحِدَة،
وَقتَها فَقَط
مِنَ المُستَحِيل أَن تَجِد خِلَافَات، بَل كُل مَا سَتَجِدُه حُبا وَرَحمة
وَحَيَاة تَكَاد تَكُون هِي الجَنَة بِعَينِهَا"
ولَن تَجِد هَذَا الحُب إِلا في الحُب الصادِق الطاهِر العَفِيف البَعِيد
كُل البُعد عَن الدَنَايَا وَالخَبَائِث.

جلست " آية " مرتبكة بِغُرفَتِها يَعتَلِيها القلق من وقت لآخر تنظر لعلها تجد رسالة جديدة من أحمد ليطمئنها، ثم وجدت "ترتيل" تجلس بجانبها فهي أختها وتوأمها وما يقلق أُختها يُقلِقُهَا ثم وجدتها تُطَبطِب عليها وَقَالت لها:

- ما بِكِ يا آية؟.. أراكِ على غير حالك هل حدث لأحمد خطب ما؟ أعلم أنه الآن هو مصدر السعادة وهو مصدر القلق أيضًا من بداية تعارفك معه وأصبح حاله هو حالكِ، أخبريني وفضفضي معي.

نظرت آية لأختها ترتيل وهي تقول:

- إنني قلقة على أحمد بشدة، بالأمس أغلق معي على لهفةٍ عندما دخلت أُخته فاطمة قائلة أن والدته أُغشيَ عليها ولا تنطق.

- و هل كل هذا يستدعي الخوف والقلق؟.

- بالطبع يا "ترتيل"...فأنا أعتبر والدة " أحمد " مثل أمي، وهي طيبة جدًّا وما يؤذي أحمد يؤذيني، نحن جسدان مُتَفَرِقَان ولكن روحنا واحدة.

- أسعدكم الله يا أختي.. وأنا سعيدة أني لم أرَكِ مرة واحدة أنتِ وأحمد اختلفتما في شيء وهذا ما أتعجب مِنه.

- يا أختي يا حبيبتي.. عندما يصبح الحبيبان متفاهمين وكل منهما يراعي الله في الآخر ويُصبِح كل مِنهُما روحا واحدة من المستحيل أن يحدث خلافات..

ثم وهي مُنشغلة بحديثها سَمَعت صوت إشعار برسالة جديدة فأمسكت الهاتف على الفور وتهلل وجهها ورَدّت إليها الروح من جديد.. وما إن وجدتها أختها هكذا اطمأنت وخرجت من الغرفة وهي تقول لها:

- اتركك أنا ليخلو لكِ الجو يا حبيبتي.

ابتسمت لها آية ولم تُعقب.. وأكملت قراءة الرسالة بلهفة:

- آية عذرًا على أنني قطعت كلامي معكِ أمس ولكن أمي تعبت على أثر غيبوبة سكر.. والحمد لله الدكتور طمأننا وأخبرنا أنها تحتاج لنظام غذائي وأن تأخذ الأنسولين بانتظام، والحمد لله قد تعافت.

- حمدًا لله على سلامتها يا أحمد، أسأل الله أن يشفيها وأن يحفظها لك.

- اللهم آمين..

- هل تعلم يا أحمد أننا اليوم أتممنا عامين على معرفتنا لبعضنا البعض..

- إذًا، كل عام وأنتِ بخير يا حياتي.

- عيب يا أحمد قلت لك من قبل احتفظ بهذا الكلام الجميل لوقت آخر، ولكن لا بأس اليوم أن تقول أي شيء فأنا أحب أن أسمع مِنك كلامك الجميل لأني اشتقت إليك.. لا تعلم كم القلق الذي تسببت بِه من أمس ولا أعلم كيف أصبحت معك هكذا.

- أنا أيضًا اشتقت إليكِ، ومن أجل ذلك كتبت لكِ كلمات أتمنى أن تنال إعجاب فتاتي الجميلة.

- أحمد.. أنت حقًّا كتبت شيئا عني أنا؟

- نعم كتبت عنكِ وهذا ما كتبته:

هكتب عنك حاجات أنا معرفهاش..

هقول إنك في دنيا تانية أنا مشوفتهاش..

هقول إن الحياة من غيرِك ما تسواش..

هقول إنك جنة في أرض أنا ماعِشتَهَاش..

هقول إنك روح ساكنة جو ايا مش مجرد أنفاس.. !!

لو سألوني عنك هقول معرفهاش..

ولو بَصوا في عنيَّا؛ هَبَرِش...!!!

وهكذب و أقول إننا في يوم ماتقابلناش..

ولو مَوّتوني؛ مش هحكي عنك..

جايز حكايتك ما يقدَّروهاش...

بس إللي لازم يعرفوه..

إنك مر افقاني طول الليل والنهار..

يبقى إزاي ما يعرفوش

إن قُربِك جَنَّة وبُعدك هو النَّار؟!!

ولو مَوّتوني؛

مش هحكي عنك؛

لإنك سر الأسرار..

دا الملاك مَخفِى عن عيون البشر

علشان مايفتنّاش..

يبقى إزاي أحكي عنك

و أنتِ الفِتنة ممكن تِتفِتن بيكِ

يا اللي نورك أضاء السماوات وأعالي البحار
ولو سألوني عن اسمك هقول
اسمها أجمل اسم في الكون
محفوظ في كتاب رب خالق البشروالكون
عليها مقدرش اتكلم أصلها محفوظة عن العيون
ومهما تسألوني عنها هسكت
لأنها أغلى شيء والكلام ميوصفش مكانها
دي هي إللي اتمنتها من ربنا في أخرتي
قبل حياتي ودنيتي

ظلت آية مُحَملِقَة بصرها لدقائق أمام شاشة الهاتف، لا تتفوه بشيء ولا يغمض لها جفن.. لا تعلم هل هي بواقع أم بخيال لا تصدق ما قرآته وما رآته عينها ظلت فاغرة فاهها وهي تبتسم بشدة ولا تتحرك فكل عضو بجسدها تيبس مكانه، ثم كتب لها أحمد:

- أين أنتِ؟ إلى أين ذهبتِ؟ يا ربي.... والله لا أعلم أنكِ سوف تتذمرين من أنني كتبت لكِ شيئا رومانسيا، حقك عليّ ولكن أنا كتبت ما أشعر بِه..

ظلت آية تنظر فقط ولا تحرك ساكنًا حتى أفاقت على رسالة أحمد يقول:

- آسف إني فعلت هذا وسأغلق الإنترنت وأتركك حتى لا أزعجك.

ثم على عجلٍ كتبت له:

- تغلق ماذا يا أحمد؟.. افعلها إذًا وسأقتُلك..

نظر أحمد لرسالتها ضاحكًا بشدة، ثم كتب لها:

- أتمنى أن أمُت على يديكِ هذا يكون شرف لي وأجمل شيء بالدنيا أن عيني تكون آخر شيء تراه هي وجهكِ.

- بعد الشر عنّك، ولكن قل لي كيف كتبت هذه الكلمات؟ أنت صعقتني وجعلت كل ذرة بكياني تتحرك لأجلك، كيف كتبت هذه الكلمات أنا لأول مرة أعهد أنك كاتب وشاعر موهوب.

- كاتب وشاعر مرة واحدة؟ الله يجبر بخاطرك أنا كل ما فعلته مجرد كتبت وعبرت عن شعوري.

- أحمد أنا لا أجبر بخاطرك ولكنك حقًّا موهوب يا ليتك تستثمر هذه الموهبة لصالحك.

- أستثمر ماذا يا آية؟ مواهب!!

ثم ضحك بسخرية مما يشعر بِه قائلًا:

- الحقيقة أن المواهب بهذه البلد لمن ليس لديهم هموم ولا مسؤولية أمّا أنا فلدي حياة لا تجعلني أعرف أن التَفِت، للأسف هم جعلونا لا ننشغل إلا بكيف نأتي بِحفنة من الخُبز لنحيا فقط فيكفي أن ننشغل بتدبير مصاريف المنزل والعلاجات ودفع الإيجار والكهرباء.. إلخ نحن الشباب يا آية لدينا إمكانيات ومواهب تجعل هذه البلد بالأعالي ولكن من يسمح لنا بتوفير المناخ المعيشي المناسب؟

- لماذا أنت مُتشائم يا أحمد لهذه الدرجة؟

- أنا لست متشائما، أنا واقعي لأنني أعيش هذه المعاناة، أنا لو التفت

لما أطمح للوصول له وقتها سنتضرر جوعًا هل تعلمين ذلك؟

هل تعلمين كيف لا يكون لكِ سند، كيف أن يكون رصيدك المالي صفرا بل إنكِ تبدأين من أسفل الصفر بمراحل..

- كيف من أسفل الصفر؟؟

- من أسفل الصفر وهو أن تبدأي وأنتِ لديكِ ديون هذا يقال أنه من أسفل الصفر.

- الله أعلم ماذا يُخبئ لنا الغد يا أحمد، وما علينا إلا أن نستبشر خيرًا ويكفي أني بجانبك وسأساعدك حتى نصل لما نريد..

- خيرًا إن شاء الله تعالى، وأنا يكفيني أنكِ بجانبي يا آية هذا ما يُهون عليّ كل ما أواجهه وللأسف سوف أُغلق الآن لأذهب لعملي ودعواتك لي.

- أدعو لك يا أحمد في كل وقت، وأهم شيء أن تهتم بنفسك لأنها نفسي واعتني بوالدتك وإياك أن تهملها.

- سوف أهتم أعِدكِ بذلك، وأنتِ تعلمين أنه شيء خارج إرادتي وأني أعمل كل ما بوسعي.

- خير إن شاء الله .. وأعانك الله وأتركك في حفظ الله.

- سلام يا طماطم.

*****

(٧)

أغسطس ١٩٩١

(أخشَى علَيكِ مِن هَذِه الحَيَاة فَلَا أَعلَم مَاذَا سَتَفعَلِين بَعدِي يَا ابنتِي فَأنتِ فِي غَابةٍ تَنهَش كُل ضَعِيف وَأَنَا لَا أَثِق فِي أَحد وَأَعلَم أَن لا أَحد سَيَعتَنِي بِكِ مِثلَمَا أَعتَنِي أَنَا وَسَتَعلَمِين هَذَا بَعد عُمرٍ طَوِيل)

فتحت نعيمة عينيها لتجد نفسها بالمشفى، وبجانبها والدها الحاج محمد وجارتها ماريان وصديقتها سارة والدكتور ينظر لها قائلًا:

- حمدًا لله على سلامتك مدام نعيمة... نشكر الله على إنك بِخَير أَنتِ والجنين الذي بداخلك فالعناية الإلهية حَفِظَتْه لَكِ.. أستأذن الآن.

نظرت غير مصدقة والدموع تَسبِقها وتنظر لوالدها وجارتها ما هذا الذي يقوله الدكتور!! ماذا حدث؟؟ قولوا لي أرجوكم..

نظر لها الحاج محمد قائلًا والدموع تترقرق بعينيه:

- قدر الله يا ابنتي، فمن نحن لنغير قدر الله.

- لا يا أبي.. لا أريد هذا الجنين من هذا الشخص.. لا أُريده، هذا وصمة عار، ماذا أقول لابني عندما يأتي للحياة؟

ماذا أقول له عن والده؟ وكيف يأتي ونحن سننفصل؟ لا أُريد أن يأتي طفل يكتسب جينات والده ويُفسِد المُجتَمع أو يُصبِح ضحية لظروف هو لم يكن له ذنب بِها.

- استغفري الله يا ابنتي، ولا تعترضي على أمر الله ﷻ وأنا الآن لا يسعني إلا أن أقول لكِ سأقف بجانبك بعد أن عَلِمت كل شيء من صديقتك "سارة " وعاجز عن الشكر لـ "ماريان" جارتك عن الذي فعلته معكِ فهي من سمعت صراخك وذهبت لتتفقد أحوالك بعد أن نزل الشيطان زوجك هربًا وترك الباب مفتوحًا ولولا جارتك كُنتِ أصبحتِ بحالة سيئة للغاية.

- سامحني يا والدي لأنني لم أسمَع كلامك مِن البداية، نحن هكذا دومًا لا نعلم الصواب إلا عِندما نقع بالخطأ ولا نُحب إلا أن نخضع لِما تُمليه علينا أنفسُنا وهذا هو داء الشباب كل ما نُريده أن ننفرد بشخصياتنا وقراراتنا حتى

ولو كانت هذه القرارات ستُصبِح لعنة علينا في يوم ما....

- وهل يوجد بين الأب والابنة مسامحة يا ابنتي؟؟ بالطبع أُسامِحكِ في جميع الأحوال... ولأني أخاف وأخشى عليكِ من هذه الحياة فلا أعلم ماذا ستفعلين بعدي يا ابنتي فأنتِ في غابة تنهش كل ضعيف وأنا لا أثق في أحد من إخوتك وأعلم أنه لا أحد سيعتني بِكِ مِثلَما أعتني أنا وستعلمين هذا بعد عُمرٍ طويل.

*****

(٨)

البداية

الإسكندرية

أغسطس ٢٠١٥

فَحُبنَا لَن يَكُون مِثلَ أَي حُب تَافِه، بَل سَنُصبِح أُسطُورَة تُحكَى وَتَتَحَاكَى بِهَا.. فَهَل أَنتَ جَاهِز لِهَذِه المُغَامرة؟

وَقتَهَا أَدرَك أَنه دَخَل المُغَامرة.. وَأَدرَكَ أَنه الآن ذَاهِب إِلى حَيث مَا تَقُول الأُسطُورَة ثُمَ اسوَدّ كُل شيء حَولَه وَأَظلَمَ..

جلس أحمد على الفيس بوك وهو في أقصى حالات السعادة بعدما أخذت آية له ميعاد لمقابلة والدها بالغد ليحضر لمنزلهم ثم كتب لها:

- لا أصدق أني سوف أكون بمنزلكم غدا يا آية وأني أجلس مع والدك هذا شيء يفوق عقلي.

- وأنا أيضًا بقمة سعادتي وأتمنى أن يتحقق حلمنا يا أحمد ولكن كن حذرًا مع والدي لأنه شخص يفهم الذي يجلس أمامه من نظرة عين.

- لا تقلقي أنا على استعداد لمقابلة الطوفان من أجلك.

- هههههههه أبي ليس بطوفان يا أحمد بل هو أفضل أب لي بالدنيا وأنت ستحبه عندما تجلس معه، ولكن يا أحمد كنت أُريد أن أُصارحك بشيء.

- خيرًا ما الموضوع؟

- صراحة يا أحمد أنا لست ملاكًا مثلما تعتقد بل أنا لدي أخطاء كثيرة و...

- لا تُكملي يا آية لأنه لا شيء يعنيني من حياتك القديمة مهما كانت، فأنا كل ما يهُمني حقًّا من حياتك هو من بعد اليوم الذي كُل مِنا أفضى للآخر بمشاعره.

- هل تعلم أنه حتى عندما أرسلت لك طلب صداقة لم يكن بالخطأ، ولكن بعد أن تحدثت معك رأيت شخصا كأنه ملاك أول مرة يتعامل مع البشر ولن أتصور أنه يوجد بهذا العالم شخص مثلك طيب لحد السذاجة؟

- للأسف يقولون طيبتك هذه هي من ستطرحك أرضًا بيوم ما، ولكن لا يهمني فأنا أتعامل بما تعلمته وبما يرضي الله وإن كان هذا خطأ بنظرهم فهو على الأقل الصواب أمام نفسي وحتى إن كنتِ كذبتِ عليا بشيء من قبل فأنا أُسامحك.

اليوم التالي

استيقظ أحمد من النوم وأخذ حمامًا دافئًا، ثم انتقى ملابسه بعناية فائقة، فاليوم يعد هو أسعد يوم له لأنه ذاهب لمقابلة والد " آية " وإذ به وهو يَهيم حُبًّا ويُغني لعبد الحليم حافظ رحمه الله...

وأراعيك وأصحى من الليل أناديك

و أبعت روحي تصحيك

قوم ياللي شاغلني بيك جرب ناري

ألاقيك مشغول وشاغلني بيك

وعيني تيجي في عينيك

وكلامهم يبقى عليك و إنت تداري

دخلت عليه أخته فاطمة وهي تبتسم وتقول له:

- يا سيدي يا سيدي، لا أحد مِثلك اليوم كل ذرة في وجهك تشِع ابتسامات وإطلالات .. الله الله على الحب وبعد ما أراه بِك سأفكر في حب ينتشيني مِثلك يا سيادة الرومانسي المُهيم حبًّا.

توقف أحمد عن الغِناء ونظر لها مبتسمًا قائلًا:

- يا أهلا بِمن يُسعدك يا أختي، وأنا أكون أسعد عندما أجِد من يُحِبكِ ويَخَاف عليكِ وأُصبِح وقتها مطمئِنا عليكِ معه ولكن هل يبدو الفرح على ملامحي حقًّا يا فاطمة؟

- جدًّا جدًّا...تكاد من شدته تضيء أكبر المُدن بأكمَلِها..

- دعواتك لي يا فاطمة والله أنا لا أصدق نفسي أني مُقدم على هذه الخطوة.

دخلت أمه وهي تسمع آخر جزء من كلامِه قائلة:

- ألا تريد أن تطلب مني أيضًا أن أدعو لك؟

- أنتِ الخير والبركة يا أمي ودعواتك أنتِ بالدنيا وما بِها يا ست الكل.

- أسأل الله أن يسعدك ابني الغالي وأن يكتب لك كل خير دائمًا، رغم أني غير راضية أن تأخذ هذه الخطوة الآن، فأنا أعلم أن عقلك إن كان به شيء لا بُد وأن يفعَلُه مهما كانت العواقب، ولكن ما يُطَمئِنني أنك تريد الحلال وهذا يكفي.

- يا أمي العزيزة، قد توكلت على الله وما أراده الله سوف يكون.. وأنتِ تعلمين أنني أحببت هذه الفتاة ولا أريد أن أظل أُحادِثُها دون عِلم أهلها..

ولأن الله لا يرضى بهذا وأُريد الحلال وأن يجمعنا الله في خير، وتكفي كل هذه المدة التي تحدثنا بِها.. وأسأل الله أن يعفو عنا، وأعلم أنها صغيرة ولكن الدين يقول : "خير البِر عاجله ".. وإن تأخرنا سَيُصبِح فسادا علينا وأنا كل ما أطلبه الستر يا أمي وأن يبعدني الله عما يُغضبه..

- وفقك الله يا بُني وأزاح عني الهواجس غير الطيبة التي لا أدري لما تنتابني، على كُلٍّ أعتنِ بنفسك يا بُني ومهما حدث تحكّم في نفسك جيدًا..

نظر لها أحمد متعجبًا من كلام أمه وما الذي كانت تعنيه به، وقال في نفسه:

- لعله خير إن شاء الله...

نزل أحمد من منزله آخذًا سيارته الفيات ١٢٨ التي اشتراها بعد معاناة

ادخار كبيرة، وأخذ الطريق الصحراوي مُتَجِهًا إلى الإسكندرية..

بعد ساعات

وصل لمنطقة المندرة واتصل بالحاج " يوسف نصار" قائلا:

- السلام عليكم حاج يوسف، معك أحمد الذي أخذ مِنك ميعادا اليوم لمقابلتك.
- أهلا وسهلا يا أحمد، مرحبا بِك بالإسكندرية.
- أين أنت؟
- أنا أقف بسيارتي الحمراء أمام كافيه سانتوس كما اتفقنا.
- حسنًا، دقائق وستَجِدني أقف أمامك.

جلس أحمد بسيارته متوترًا ويتأهب لهذه المقابلة، يا تُرى ما هي هيئة أبيها وكيف سيكون؟ ثم نظر إلى البحر مُنتشيًا وقد ملأ رِئتيه من هوائه ورائحة اليود المُنعش الذي يبعث بالنفس الراحة والهدوء، ثم تنفس بعمق وكأنه يلتقط آخر أنفاس له من الحب والمشاعر الصافية وبراءته بالحياة..

ثم بعد عدة دقائق جاء الحاج يوسف نصار على البحر، ثم اصطحبه إلى المنزل الذي كان لا يبعد عنهما إلا دقائق والذي يَطُل أيضًا على البحر.

دخل أحمد مَنزِل " آية " بِصُحبَة والِدها وأخذ يتفحص المكان جيدًا ويقول في نفسه: "ما أجمل مكانك الذي أشتم بِه رائحتكِ التي لا أعلمها ولكن أشعر بنشوة ليس بعدها نشوة".

وأخذته الدهشة والانبهار من ديكورات المكان ذاته، وكم أنه على مستوى عالٍ من الطراز والأناقة، فالصالون مَطلِيّ باللون الذهبي وعلى الجانب شكل ديكوري أنيق في هيئة شلال وبه ماء وأضواء خلابة، ظل يتفحص المكان وهو مُنبهر لأنه لم يكن يعلم أنها من مستوى عالٍ إلى هذا الحد، ثم أجلسه والدها

على "الأنتريه" وقال له:

- ماذا تود أن تشرب يا أحمد ؟
- أي شيء يا عمي، كما يحلو لك.
- كما تُحب.

ثم نادى الحاج يوسف على" أدهم " ابنه وجاء مُسلمًا على" أحمد"، ونظر له أحمد مبُتسمًا قائلًا في نفسه:

- أخيرًا رأيت أحدًا مُشابِه لكِ، ما أجمل أخاكِ، إذا كان أخوكِ بهذا الجمال فكيف تكونين أنتِ يا فتاتي؟..

ثم قال له الحاج يوسف: ائْتِنَا بمشروب بارد يا أدهم وبعض الماء.

ثم انصرف "أدهم " ونظر والد " آية " في ترقب لأحمد قائلًا له:

- أهلا بِك يا أحمد، نورت إسكندرية.
- مُنيرة بأهلها يا عمي.
- خيرًا يا أحمد، قلت لي أنك تريد أن تحادثني في شيء تكلم.

ارتبك أحمد ثم استجمع نفسه وقال:

- في الحقيقة يا عمي، جِئت لأطلب مِن حضرتك يد ابنتك "آية " ولأني أتوسم بِها خيرًا وأتشرف بِها تكون خير معين لي...

نظر له والد " آية " قائلًا وكأنه قد أعدَ الرد مسبقًا على ما سوف يُقال:

- انظر يا أحمد واستمع لكلامي جيدًا بالطبع أعلم ما بينكما، فإن ابنتي لا تُخفي عنيّ شيئا، فقد قُمت بتربيتها على هذا وأعلم أنك إنسان ذو خُلق رفيع ولكن أنا لا أعترف أنه يوجد حب من على الشبكة العنكبوتية هذا اسمه استخفاف ودعك من هذا السبب، أنت جئت إلينا والآن أنت بِبيتِنا

وشاهدت المستوى الذي تعيش به.. فهل سَتَقدِر على أن تجعلها تعيش في مثل هذا المستوى؟ وأنا أعلم أن راتبك ضئيل لا يصل للألفين ونصف، على الرغم من أنك تعمل عملين في آن واحد وتُساعِد أُختك وأُمك.. قل لي كيف ستقوم بتجهيز مثل هذه التجهيزات؟ وكيف ستأتي بالشقة؟ والأهم أنك ليس حتى معك شهادة عليا وكل ما معك شهادة دبلوم تجارة.. و"آية " قد أخبرتني أنك سَتُكمِل بالجامعة المفتوحة ولكن هذه ليست مَضمُونة لِمثل مَن يَمُر بِهَذِه الظروف... وابنتي نعم الآن معها شهادة الثانوية العامة ولكنها لن تتوقف على هذا، بل سَأُدخِلها كلية الطب أو الهندسة.. قل لي ماذا سيكون وضعك أنت؟

وكيف لَكُمَا أن تعيشا وبينكما فارق السماء والأرض.. ماديًّا واجتماعيًّا وعلميًّا....

ظل أحمد ناظرا لوالد آية مذهولا وقد صُعق مما سمع.. وظل يستمع فقط.

ثم أكمل والِدها قائلا:

- الشيء الأخير أني قد قمت بعمل تحريات، ليس عنك فقط بل والدك أيضًا وعلِمت أنه حي وليس بِميت.. وأنه شخص بِه ما بِه من سوء وعليه قضايا نصب وتزوير... أعلم أن ليس لك ذنب بهذا ولكن نحن في الدنيا يا أحمد وما يَمَس والدك يَمسّك أيضًا؛

فبِهَذِه البَلَد ابن الصَالِح يُصبِح ابن صَالِح، و ابن الفَاسِد يُصبِح ابن فَاسِد ولأن العِرقَ دَسَّاس لا بُدَ أَن يَطُولَك شيء مِنه.

وأحسبك على خير ولا أعيب شيئا بك ولكن لدي سؤال:

هل يجوز إعطاء الذهب لرماد محترق ليحفظه؟

بالطبع لا لأنه سيحترق معه، والفارق كبير جدًّا مثل السماء والأرض، يا أحمد أنا أرحب بك كأخ لآية تحافظ عليها من أي سوء، ولكن أن تُصبِح لك هذا ما لن يكون، فلا بُد للمرء أن يأخذ من يُماثِله من ظروف، أتمنى أن تكون أدركت كلامي واستوعبته جيدًا..

حاول أحمد أن يُجمد الدموع التي بين ثنايا عينيه حتى لا يُفتضح أنه؛

_ انهزم أشد انهزام_

ثم استجمع كل قوته وقال:

- لا أحد يا حاج يوسف يُولد وفي فَمِه ملعقة من ذهب، وأنا ما زلت بِبداية حياتي وأعلم أنني سوف أكون يومًا ما أريد وإن كنت قبل هذه الجلسة لا أعلم كيف سيحدث ذلك ولكن بعدها؛

سأكون رغمًا عن الجميع

ثانيًا؛ نعم أنا لست بغني وليس معي ما أقدر على أن أعيّش ابنتك بمثل هذا المستوى العالي

ولكن كان لدي من الحب والمشاعر ما يجعلها تعيش على بُساط الريح لأني أحببتها حقًّا وكنت سأُراعي الله بِها

والرسول الكريم قال:

"ما رأيت أفضل للمُتحابين من الزواج".. وقال أيضًا: إن جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ".. ولم يقل من جاءكم من ترضون دين أبيه فزوجوه، وقال إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير"...

وأنا لم أكذِب وأقُل أن والدي ميت وهو حي، هو حقيقة ميت بالنسبة لي منذ زمن ولا أعتبره حيا، حتى وإن كان أمامي ولكن أنا أتشرف أن لي أُم هي من

جعلتني رَجُلًا أقف أمامكم الآن لا أخشى ما أنا مُقدِم عليه بجميع الأحوال وأكون على قدر من المسؤولية التي أنا مُقدم عليها تشرفت بحضرتك وببيتكم هذا ولكن أود أن أقول:

لا بعد الحب أُخوه إلا ازدياد الحب.

- نظر الحاج يوسف نصار لأحمد ببرود قائلًا:

كلام شباب لا يعلم معنى الزواج وكُل من يحفظ نصًّا يضعه في المكان الذي يحب أن يرى.

ثم قام أحمد ونظر له وقال:

- عن إذنك.

*****

(عندما تجري الحياة عليك أقدارها وتُعاقبك بذنوب غيرك وقتها فقط لا تشعر فيما تُفكر أو ماذا ستُقرر؟؟)

والسؤال

(لماذا تُملي الحياة علينا أقدارها وتعاقبنا بذنوب غيرنا؟ وهل يا تُرى وقتها سنظل مثلما كنا في سابق عهدنا أم سنتغير كُليًّا؟)

خرج أحمد من منزلهم وهو مُحطّم النفس ثم سار إلى سيارته والدموع تملأ عينيه، ونظر نظرة أخيرة للبحر ولشدة الموجة القادمة وقال:

ما أَجمَل مَنظَرك أَيُّهَا البَحر الَذِي يَخطَف الأَنظَارويِدَاخِلَك تَلون يَشِيب لَه الولِدَان فَمَا أَشَد غَدرَك وَتَلَاعُبك بِنا.

الآن أدركت نصيحة أمي.. "اعتن بنفسك يا أحمد مهما حدث "،

يبدو أن قلوب الأمهات تعلم ما سيكون حقيقة، ولكن كيف لقلوبهن أن تعلمن ما بِعلم الغيب؟

لا لا هذا ليس بعلم الغيب وإنما بِحُكم الخبرة وتجارب حياتِهم.

آه يا أمي لو أنكِ تعلمين كم أنا محطّم الآن، آه يا أختي لو نظرتِ لحالي الآن لكرهتِ الحب وكل خطوة قد تُقرِبنا مِنه لأنه هو الذي يجعلنا نتنفس وهو ذاته الذي يجعلنا نموت،

لِلأَسَف الحُب هو الهَنَاء وَبِذَاتِ الوَقتِ هو الشَقَاء، مُعَادَلة لَن يَعِيّهَا إلا مَن وَقَع بَينَ رموزِها.

*****

خرجت "آية " من غرفتها والدموع تملؤها وكانت والدتها بجانبها تحاول أن تُهدئ من أمرها وتقول لها:

- أن والِدك أدرى بِمَصلَحَتِكِ مِن أَي إنسان على وجه الأرض.

نظرت لأبيها الجالس نظرة قهر، لا تعلم كيف له أن يتحول من أحنّ إنسان عليها في الدنيا إلى قاهِر ومُعذّب لها ثم قالت:

- لماذا فعلت بي هذا يا أبي؟؟ ولم تكتفِ برفض الزواج بل أنت دهست كرامة أحمد قُل لي لماذا ؟

- لأنني أدرى إنسان بمصلحتك، وهذا الزواج كان لا بُد له أن لا يتِم مهما كلّف الأمر، ولأني لست بمُضحٍ بابنتي وكان لا بُد لي أن أفعل مِثل ما فعلته معه وأدهس كرامته حتى لا يُفكر أن يعود مرة أخرى ويعلم أن الموضوع أُغلِق تمامًا، وإذا لم يكن ليُغلق بالرفض سيُغلق أكيد لبعثرة كرامته.

نظرت آية لوالدها وهي تبكي وتقول:

- لن أنساه بفعلتك هذه وأحمد يحبني ولن ينساني كما تظن، فهو شخص سيُعاند الدنيا كلها من أجل أن يصل لِما يُريد وأنا مِثله ولكن الله وحده يعلم ماذا ستفعل به كلماتك بعد أن دمرته بها..

نظر لها والدها بتجهم وغضب قائلا:

- وأنا أُحَذِرك يا آية إن لم تنسيه أو إن حاول هو الاقتراب مِنكِ فسوف أدهسه وأجعلك تندمين أشد الندم..

ثم قالت آية وهي تبكي وتهَرول لغُرفتها

- لن أنساه أبي ولن أقبل بشخص طوال عمري إلا به هو فقط

*****

هرولت والدة آية إليها وهي تطبطب عليها قائلة:

- إن الأيام تُنسي يا ابنتي لا تقهري نفسك هكذا أرجوكِ.

نظرت لها آية في ألم وكره قائلة:

- أنا أكره حياتي جميعها بِسَبَبِكما ولا أريد أن أعيش هذه الحياة مرة أخرى، فأنتما أفقدتماني أعز وأطهر إنسان على وجه الأرض، سلبتماني أرجل رَجُل قابلته في حياتي ولن أُحِب ولن أُقابل مِثله ولكن سوف أفعل ما تقولانه لي وسوف أبتعد عن أحمد خوفًا عليه من أبي الذي أصبح جلادًا وسوف أُظهر لأحمد أنني أنا من لا أُريده حتى لا يتشبث بي ولا يفعل شيئًا أحزن عليه أضعافًا، فيكفيني أن أراه من بعيد بخير ولكن أنا التي لن تكون بخير فسأتقدم بنفسي إلى حيث مصيري ومرقدي.

نظرت لها أختها " ترتيل" بحزن شديد عليها وقالت لها:

- أختي أرجوكِ لا تقولي هذا الكلام فأنا أخشى عليكِ وأنا بجانبك، أم تريدين أن ترحلي وتتركيني؟.

- سامحيني يا أختي ولكن أنا بحالة يرثى لها، لا أحد يعلم ما أنا بِه إلا من كان بمثل موقفي...

هل تعلمين ما معنى أن تموت أحلامكِ جميعها بلحظة؟

هل تعلمين معنى أن شخصًا كان لكِ العالم بِأسره في لحظة يصبح ليس من حقك أن تتحدثي معه وكأنه لم يكن؟

يا ليتهما قتلاني ولا أنهما أسلباني الروح التي أحيا بِها.. أحمد لم يكن مجرد حُب أو شخص أُعجبت بِه، وَلَكِنه

كَان وَطَنا شَعُرت بِه بِالأَمَان، هَل تَعلَمِين مَا مَعنَى أَنه بِلَحظَةٍ يَضِيع الوَطَن وَيضِيع الأَمَان ؟؟

سار أحمد بسيارته على البحر وهو يقود بسرعة وهو يُفكر كيف حدثت

كل هذه الأمور كيف انقلب الأمر رأسًا على عقب، وأخذت الدمُوع تَنهَمِر من عينيه بغزارة وداخله **أسوأ شعور بالحياة؛ الخذلان، الفقد، الموت، الألم، الوِحدة، فَمَا أَشَد اجتِمَاع هَؤلاءِ دُفعَة واحِدة**... ثم أخذ يقول بهستيريا:

لماذا؟ لماذا يحدث كل هذا بِنا؟

ثم أخذته الذاكرة إلى كُل الذكريات الجميلة التي تجمعهُما على شاشة الحاسوب، من لحظة حب وشوق ونشوة، وسعادة وأحلام مستقبلية ووعود بعدم المفارقة إلى الأبد.

ثم وهو عِند المنعطف بمنطقة جليم أُغلِقت عيناه وفقد وعيه للحظات، ثم فتح عينيه وهو يرى نفسه يهوى بعمود الإنارة الذي على البحر لتنتزعه سيارتة من الجذور ليحطم أعلى سقف سيارته ثم ينحدر بالسيارة من هول المفاجأة على الناحية الأُخرى لتنقلِب السيارة وَتُعَاوِد وَتَقِف مرةً أُخرى كَمَا كانت، وهو يرى كل هذا وكأنه في فيلم لا يُصدِّق نفسه وخرج من سيارته بصعوبة وهو ينزف دمًا من كل مكان بجسده ثم ارتطم على الأرض.. وتذكر عِندما كان يبحث في صفحة آية ووجد مقولتها:

عِندَمَا يَحِين الوَقتِ سَتَعشَقني بِدُونَ أَن نَلتَقِي وَبِدُون أَسبَاب لأَني كُتِبتَ بِقَلبِكَ مِن فَوقِ سَبعِ سَمَاوَات.

فَحُبنَا لَن يَكُونَ مِثلَ أَي حُب تَافِه، بَل سَنُصبِحَ أُسطُورَة تُحكَى وَتَتَحَاكَى بِهَا.. فَهَل أَنتَ جَاهِز لِهَذِه المُغَامرة؟

وَقتَهَا أَدرَك أَنه دَخَل المُغَامرة.. وَأَدرَكَ أَنه الآن ذَاهِب إِلى حَيث مَا تَقُول الأُسطُورَة ثُمَ اسودّ كُل شيء حَولَه وَأَظلَم.

*****

كانت والدة أحمد تجلس مع ابنتها فاطمة وهما يتسامران، وإذ بِها

ينقبض قلبها فجأة وتلاحظ فاطمة تغيرات والدتها وتقول لها:

- ماذا بِكِ يا أمي، ما الذي حدث؟

- لا شيء يا فاطمة ربنا يُستر ويأتي بالعواقب سليمة.

لحظات ورن هاتف والدة أحمد ثم ردت على الهاتف وهي تنتظر خبرًا تلقته بقلبها منذ دقائق.

وقفت مذهولة لدقائق أمام الهاتف ثم قالت: أين هي المشفى، وبعدها أغلقت الهاتف وهي تبكي، ثم وقفت فاطمة وهي تقول:

- ماذا حدث يا أمي قولي لي، أحمد ماذا حدث له أرجوكِ؟؟

- لا وقت للكلام يا فاطمة هيا بِنا بسرعة أحمد بالمستشفى الآن يقال أنه حدثت له حادثة هيا بِنا ونسأل الله أن يكون بخير..

*****

(٩)

يناير ١٩٩٢

(عِندَمَا تُكتَب الأَقدَار فَلَا رَاد لِقَدَرِه وَمَا علَينَا إِلَا أَن نَرضَى بِمَا هو كَائِن حَتَى لَا نَضِيع بِسَرَاب مَا مِنَ المُفتَرض أَن يَكُون).

جلست نعيمة بعد أن وهنت من أمور المنزل، وأخذت تفكر في حالها وكيف تتخلص من زوجها الذي لا يُريد أن يُطلِقها إلا بمبلغ من المال، والذي لا تملكه ولا تعلم كيف تدبره وأحست أنها مسجونة معه، فهو لا يعيش معها وتركها كالمعلقة بعد أن طلبت الطلاق ثم وإذ بها جالسة تسرح في همومِها أخذت تشعُر بألم شديد في بطنها، ثم قالت:

ما هذه الآلام، ما زلت بالشهر السابع من الحمل،....

ثم أخذ الوجع يزداد ويزداد حتى لم تقوَ على الألم وصرخت صرخة استيقظ والدها -الذي كان ينام بغرفته- على إثرها، وشاهدها على هذا الحال وقلق عليها قلقا شديدا لأنه يعلم أن هذا خطر عليها لأنها مريضة بالسكر، ثم أسرع لجارتهم "ماريان" وطرق الباب عليها ثم بعدها بلحظات فتحت الباب قائلة:

- خيرًا يا حاج محمد هل نعيمة بِها شيء؟

- نعم يا "ماريان "، يبدو أن نعيمة ستلد وأنا سآخذها ونذهب إلى المشفى وأنا كل ما أريده أن تأتي معي الآن لتحملها معي، فأنتِ تعلمين أني لا أستطيع أن أسنِدها وحدي لأني كَبرت يا ابنتي وأخشى أن نقع نحن الاثنان.

- وهل هذا يتطلب استئذانا يا حاج محمد، نحن جيران ونعيمة أختي وليست مجرد جارة.

خرجت نعيمة وهي تتألم بشدة وتستند على والدها وجارتها "ماريان" ونزلت معهما وركبت مع والدها سيارته التاكسي الذي يعمل عليها، وذهبوا إلى مشفى إسماعيل حسني بالمهندسين والتي تقطن أمام مسجد "مصطفى محمود "حيث الطبيب المعالج.

وما إن دخلت المشفى حتى تجمع حولها طاقم التمريض وأبلغوا الطبيب المعالج ليحضر فورًا وبالفعل بعدها بسويعات جاء الطبيب وكشف عليها ثم خرج لوالدها قائلًا:

- لا بد وأن تدخل العمليات حالًا لتَلِد لأنها إن تأخرت أكثر من هذا سيموت الجنين، ومن الممكن أن يحدث لها مكروه بسبب السكر.

نظر الحاج محمد بقلق للدكتور قائلًا:

- أهم شيء سلامتها يا دكتور، أرجوك.

- إن شاء الله ستكون بخير بدعواتك يا حاج.

دخل الدكتور وطاقم التمريض غرفة العمليات وجلس الحاج محمد يدعو الله أن تخرج سالمة هي وابنها.

وبعد ساعات من الانتظار..

خرج الدكتور ومن ثمّ توجه إليه الحاج محمد بلهفة قائلًا:

- طمئِني يا دكتور..

نظر الدكتور بقلق ثم قال:

- الحمد لله ابنتك نجت بصعوبة، ولكن الجنين خرج غير مكتمل النمو بسبب مرض السكر ولا بد أن يدخل الحضّانة في الحال وإما سيموت.

نظر الحاج محمد للدكتور بقلق شديد قائلًا:

- ادخلوه الحضّانة فورًا وأنا سوف أخرج لإحضار نقود لأن ما معي الآن لا يكفي.

*****

خرج الحاج محمد وهو لا يعلم ماذا يفعل وهو لا يمتلك شيئا فهو يعمل على التاكسي الخاص به ورِزقه بِاليوم، ومطلوب مِنه مبلغ لا يقدِر عليه والله أعلم بعدد الأيام الذي سَيَمكُثها هذا الطفل بالحضّانة، ثم خطر له أن يذهب لأقرب سنترال وبالفعل ذهب وتحدث مع السيد بركات زوجها ووالد هذا الطفل.. ليجعله يتحمل أبسط مسؤولياته وهو دفع مصاريف الولادة وبالفعل تحدث إليه قائلًا:

- السلام عليكم كيف حالك يا سيد..معك الحاج محمد.
- وعليكم السلام..أهلا عمي، خيرًا ؟
- يا سيد، نعيمة الآن بالمشفى وتمت الولادة على خير وجاء لك ولد الحمد لله ولكنه الآن بحاجة لحضّانة حتى لا يحدث له مكروه، فهل آتيت لترى ابنك ولتقوم بدفع المصاريف لأن ما لدينا لا يكفي؟
- أعانكم الله يا عمي... وأنا حقيقة أعتذر لأني مشغول هذه الأيام.
- كنت أظن أنك إنسان ولكن يبدو أني أسأت الفهم.

ثم أغلق الخط فورًا وكان لديه رقم صديقة نعيمة المقربة "سارة" وهي على مستوى معيشة عالٍ ثم اتصل عليها وتحدث إليها وشرح لها الوضع فقالت:

- يا حاج محمد نعيمة أُخت وليست صديقة، مسافة الطريق وأكون أمامكم.

أغلق الحاج محمد الخط ثم قال:

كم أنت كريم ولطيف يا ألله، لا تُغلِق بابًا إلا وفتحت آخر فلك الحمد ولك الشكر يا ألله على النعم التي تُغرقنا بِها.

ثم ذهب إلى المشفى ودخل على نعيمة بعد أن أفاقت قائلًا:

- حمدا لله على سلامتك ابنتي.
- سلمك الله يا والدي العزيز.. الحمد لله على كل شيء، ولكن أين ابني؟
- في الحقيقة ابنك جاء ناقص النمو وتم وضعه في الحضّانة.
- إن شاء الله سيكون بخير هذا ظني في الله.

ثم بعد لحظات دخل الطبيب قائلًا:

- حمدا لله على سلامتك نعيمة كُتب لكِ أنتِ وابنك عُمر جديد.
- لكل أجل كتاب يا دكتور، الحمد لله على كرم الله الكريم.
- ولكن يا نعيمة لا بد من إجراء جراحة لابنك حتى يتحسن لأن على هذا الحال من الممكن أن يصبح عاجزا ومن الممكن أن لا يعيش.
- ماذا تقول يا دكتور؟ كيف هذا ؟
- للأسف مرض السكر كان له تأثير شديد على ابنك ولم يكتمل الفك ويوجد لديه مشاكل بالجهاز التنفسي.

نظر الحاج محمد وهو كاد أن ينفطر قائلًا في نفسه: يا ألله على هذا الطفل الذي جاء إلى هذه الدنيا ليعذب، ولكن لكل شيء حكمة.

ثم نظرت الأم إلى الطبيب وهي تدمع قائلة:

- سوف أفعل أي شيء من أجل سلامة ابني حتى لو كلفني ذلك حياتي ولكن لن أكون سببًا أن يعيش عاجزًا أو يكون به أي أذى.. وما بعد ذلك فهو قدر الله وما علينا إلا أن نأخذ بالأسباب وأنا أحتسبه عند الله إن لم يكتب له العمر.

ثم جاءت صديقتها "سارة " وجلست بجانبها تهون عليها بعد ما علِمت بالأمر وما فعل زوجها، ثم دفعت المصاريف اللازمة للمشفى وجلس كل منهم يدعو الله أن ينقذ هذا الطفل الذي ليس له ذنب إلا أنه كان قدره أن يأتي بمثل هذه الظروف، ونظرت لها صديقتها سارة وقالت:

- بعد هذا الموقف الذي صدر من زوجك والذي لا أعلم ما مِلّته.. فمن لا يأتي ليرى ابنه فهو ليس بـ أب، أقول لكِ اطمئني، لنطمئن على ابنك أولًا ونخرج وسأوفر لكِ ما تحتاجين لتنفصلي عن هذا الشخص بأسرع وقت، هيا ابتسمي ولا تشغلي بالك بشيء ولا تقلقي سوف أُزوجك بمن هو أفضل منه ومن يراعيكِ حق المراعاة.

نظرت لها نعيمة وهي تبتسم قائلة:

- والله أنتِ من تهونين عني يا سارة أنتِ وأبي، ولكن وسعت مِنكِ هذه المرة، وزواج مرة ثانية مستحيل..

نظر لها الحاج محمد قائلًا:

وأنا مع صديقتك، لسوف نُزَوِّجك ونفرح بِكِ هذه المرة ولا يوجد مستحيل يا ابنتي إذا كان الله أراد هذا الشيء فسوف يكون.

*****

(١٠)

الصدمة

كَان يَمتَلِئ بِالأَمَل وَالحَيَاة وَالآن لَا يَرَى إِلَا الهَزِيمَة وَالوَجَع وَالخِذلَان وَالفَقد وَالمَوت

أَصعَب مَا بِهَذَا أَنَه لَيس بِيَد عَدو،

كَان أَهوَن، وَلَكِن الكَارِثَة أَنَهَا بِيَدِ أَحَب النَّاسِ إِلَى القَلب

لِذَلِكَ

إِن أَرَدتَ أَن تُحِبَّ فَاعلَمَ أَنَك تَستَحضر لِمَوتِكَ

وَإِن أَرَدتَ أَن تُقَاوِم الحُب

فَاعلَم أَنَّكَ مَيّت

لأن لَا أَحد يَقوَى علَى المَوت يَا صَدِيقِي لأَنَنَا جَمِيعا فِي النِّهَايةِ أَموَات.

جلست آية بغرفتها أمام جهاز اللاب توب وهي تبكي، وتفتح إرسال رسالة لأحمد وأخذت تستجمع رباطة جأشها لتكتب على لوحة المفاتيح هذه الكلمات الصادمة لأحمد عسى أن يصرف نظره عنها، بل سَتُحاول أن تُغير وجهة نظره بها للأسوأ حتى لا يجعل لنفسه خيطا مُعلقا بِها ويدمر حياته من أجلها لأنها تشعر أنها السبب في هذا الحب.

وكان لا بد لها أن تعلم من البداية كيف تُبعد نفسها حتى لا تُفقد حياة أحد آخر معها..

أخذت تكتب والدموع تُبلل لوحة المفاتيح:

لا تتعجب يا أحمد مما سأقول ولكن هذه هي الحقيقة التي كان لا بُد لنا أن نعيها، أعتذر عن ما قاله أبي لك ولكن بعد أن جلست أفكر جيدًا تبين لي أن والدي كلامه صواب وأنه محق في كل كلمة قالها، نعم أنت لن تستطيع أن تجعلني أحيا مِثلما أعيش الآن وأيضًا أنت دبلوم تجارة وأنا سأصبح شيئا بالمجتمع وأيضًا سيرة أبيك بِها شيء مُخجِل، واجتماعيًّا وثقافيًّا لا نليق ببعضنا، وعندما فكرت جيدًا عِلمت أن ما أنا به ليس بحب لأنه كما يقولون أنا صغيرة حتى الآن ويعتبرونني مراهقة، وحقًّا أنا لم أتبين مشاعري تجاهك ولا أشعر بك إلا كأخ عزيز فقط.

ثم أخذت تتوقف وهي تبكي بصوت عالٍ، وتغمر رأسها بالوسادة التي بجانبها على السرير وهي تشعر بوخز في قلبها مما تكتب.

كيف لها أن تُصبِح هي من تكتب شهادة وفاة حُبها بيديها وهي من تطعن السيف لحبيبها وقبل أن تطعن حبيبها عِلمت أنها تطعن نفسها قبله...

ثم أخذت تعاود كتابتها من جديد..

" سامحني يا أحمد على أني أوهمتك بحبي لك، وأنك تألمت بسببي، وأنا أتمنى لك حياة سعيدة وأرجو أن تلتفت لنفسك ولحياتك ولا تنظر خلفك، بل تتزوج وتنجب وتحيا حياة سعيدة مثل الآخرين"

وما إن انتهت من الرسالة توقفت يداها عن الإرسال وكلما تحاول أن تضغط إرسال، يدها لا تطاوعها وجلست تبكي وهي تنظر للرسالة..

*****

وصلت والدة أحمد وأُخته فاطمة إلى المستشفى بالإسكندرية ودخلت إلى الاستعلامات قائلة بلهفة:

- لو سمحت، جاءني اتصال من المستشفى إن ابني حدثت له حادثة وهو بالمستشفى هنا.
- ما اسمه يا فندم؟
- أحمد السيد بركات..
- الدور الثالث قسم الحوادث عنبر ١٠٥.
- شكرا يابني.

ثم انصرفت هي وفاطمة بأقصى سرعة ليطمئنا على أحمد، وما إن وصلا للدور الثالث وجدت ممرضة تجلس على كرسي ثم تقدمت لها سائلة إياها:

- "أحمد السيد بركات "جاء في حادث...

وقبل أن تُكمِل أمه ردّت الممرضة بسرعة قائلة:

- متواجد يا حاجة ولكن هو الآن بغرفة نقل الدم لأنه نزف كثيرًا من الدماء وفقد وعيه، دعواتك له واستريحي حتى يتم الانتهاء من إسعافه.

جلست والدة أحمد وأخته فاطمة وهما في شدة قلقهما على أحمد وجاءت الممرضة بعد أن جلسا وأعطت ما كان مع ابنها لديها قائلة:

- اتفضلي يا حاجة، احتفظي بأشياء ابنك معكِ، هذا هاتفه المحمول ومحفظته وكُل أشيائه.

نظرت الأم للمرضة بشكر لها قائلة:

- شكرًا لكِ على أمانتك يا ابنتي.
- لا شكر على واجب يا حاجة.

ثم انصرفت الممرضة تتابع المرضى الآخرين، وجلست فاطمة تقرأ القرآن وتدعو لأخيها وهي تبكي.

*****

وقفت آية وهي تجمع كل قوتها لتضغط زر الإرسال وبالفعل.....

ضغطت على زرعدم الرجوع إلى ما لا نهاية، إلى انحدار الطريق وطريق الظلام.

ثم بعد أن ضغطت وقعت على الأرض وهي لا تقدر على حملِ نفسها وجاءت إليها والدَتها وأُختها ترتيل ليُساندا‌ها ويقفا بجوارها لتجتاز الأزمة.

*****

عند جلوس والدة أحمد لمحت من يخرج على نقالة من غرفة ما ثم قامت على الفور لتشاهد لتجد ابنها على النقالة ورأسه ملفوف بالكامل بالشاش، ويداه عليهما جبيرة نتيجة كسر وهو حتى الآن لم يَفِق مِمَا هو عليه، وقامت فاطمة خلف أُمِها بسرعة وهما ينظران لأحمد الممد على النقالة لا ينطق بشيء وأخذا يبكيان ويتضرعان إلى الله ثم قالت لهما الممرضة:

- إن شاء الله سَيُصبِح بِخَير، ومجرد لحظات ودقائق ويعود له الوعي فلا تقلقا؛ فهذا أمر لا بُد مِنه نتيجة الحادث فالحمد لله أنه كُتب له عُمر جديد.

جلستا بجانبه سويًّا وأخذت فاطمة تحدثه وهو راقد قائلة:

- أفق يا أخي، أنت قوي وبداخلك قوة تحمّل ليس لأحد مثلها، ألم أقل لك أنني سوف أحب بسبب النور الذي كنت أَراه بِك؟؟ كيف يحدث هذا الظلام لك يا أخي...أفق أرجوك وقل لي هل أحب أم أبتعد؟ ومن غيرك سيزوجني يا أخي؟ أرجوك أفِق أنا أعتَبِرك أبي وسندي وكل شيء أرجوك أفِق أنا لست قادرة على كل هذا..

ثم أخذت تبكي بكاءً مريرًا على أخيها، ونظرت لها أُمها وهي تستجمع قوتها قائلة:

- إن شاء الله يا فاطمة سيكون بخير، أحمد مر بالأكثر من هذا بكثير وكتب الله له النجاة لا أنسى يوم ما وُلدت به كان يوما صعبا للغاية وجاء بالشهر السابع والدكتور أخبرني أنه ولد غير مكتمل النمو ونسبة حياته لا تتعدي ١٠% وبنسبة ٩٠% ابنك سيموت، وقتها رفعت يدي لله ﷻ ودعوت له ولم يخذلني الله وعاش، صدق من قال: إنه ابن موت ولكنه سيحيا وستكونون بجانب بعضكم البعض لا تقلقي يا فاطمة..

بعدها بدقائق وجدا من يستفيق بجانبهما ويتمتم بكلام ليس مفهوما وعندما حاولا السماع وجداه يقول:

- آية آية.. لم أكن لأتخلى عَنكِ، الآن فهمت جملتك الشهيرة الأسطورة... آية آية.. سوف آتي إليكِ ولن يقدروا على منع حُبنَا مَهمَا كان الثمن، أنا قادم.

نظرت له أمه في حسرة من أمرها وقد عَلِمَت ماذا حدث بعد هذه التمتمات ونظرت له فاطمة وهي تبكي حسرة على أخيها الذي خرج من بيته وكان ممتلئا بالأمل والحياة.. والآن لا ترى إلا الهزيمة والوجع والخذلان والفقد.

مرت ساعات وهو على هذه الحالة حتى قام بفتح عينيه ببطء وقال: "أين أنا"، ثم نظر حوله ليَجِد أمه وأخته ناظرتين له ثم قالا له:

- حمدا لله على سلامتك الحمد لله أن الله قد كتب لك عمرًا جديدًا يا أحمد.

- يا ألله.. كيف حدث كل هذا لي؟ أنا آخر ما أتذكره أني كنت أسير بطريقي وفجأة كل شيء أظلم حولي...

- الحمد لله يا بني أنك عُدت لوَعيك..

ثم نظرت له فاطمة قائلة:

- هل يجوز أن تقلقنا عليك هكذا يا أخي؟ كيف لي أن أحيا بدونك فأنت لي كل شيء إن كنت لا تَخَف على نفسك خاف عليّ فأنا ليس لي أحد غيرك أنت وأمي.

نظر لها بِطَرف عينيه لأنه لا يقدِر على التحرك قائلا:

- أنا بجانبك لا تقلقي والشيء الذي لا يُقسِمنا يجعلنا أقوياء يا حبيبتي.

ثم قال لأمه:

- أين هاتفي يا أمي؟
- معي يا أحمد لا تقلق.
- أستأذنك أن أريدك أن تضعيه بين يدي لأني أحتاج أن أرى شيئًا بِه.
- ما دام هذا يجعلك أحسن لا أمانع يا أحمد..

ثم أخرجت الهاتف من حقيبتها وقامت بوضعه بين يديه ثم فتح أحمد هاتفه لأنه كان مُغلقا، وبعد أن أعاد تشغيله فتح النت وبالفعل فتح الفيس بوك ووجد رسالة جديده من آية، ابتسم وعاد له الأمل مرة أخرى..

وقال في نفسه: "أظن أنها ستحارب من أجلي وهذه الرسالة ستكون أنها معي في جميع الأحوال".

نظرت له أمه وابتسمت لابتسامته وظنت أنه جاءت له رسالة تطمئنه من حبيبته...

ثم ضغط أحمد على فتح الرسالة الجديدة، فتحولت الابتسامات إلى عبوث وأخذ يقرأ كل كلمة

(رسالة جديدة من آية)

" لا تتعجب يا أحمد مما سأقول، ولكن هذه الحقيقة التي كان لا بُد لنا أن نعيها، أعتذر عن ما قاله أبي لك، ولكن بعد أن جلست أفكر جيدًا تبين لي أن والدي كلامه صواب وأنه محق في كل كلمة قالها، نعم أنت لن تقدر أن تعيشني مِثلما أعيش الآن وأيضًا أنت دبلوم تجارة وأنا سأصبح شيئا بالمجتمع، وأيضًا سيرة أبيك واجتماعيًا لا نليق ببعضنا.. وعندما فكرت جيدًا علمت أن ما أنا به ليس بحب لأنه كما يقولون أنا صغيرة حتى الآن ويعتبرونني مراهقة،

وحقًّا أنا لم أتبين حقيقة مشاعري تجاهك ولا أشعر بك إلا كأخ عزيز فقط.

سامحني يا أحمد على أني وهمتك بحبي لك وأنك تالمت بسببي وأنا أتمنى لك حياة سعيدة وأرجو أن تلتفت لنفسك ولحياتك ولا تنظر خلفك، بل تتزوج وتنجب وتحيا حياة سعيدة مثل الآخرين"....

أخذ يقرأ ويعاود القراءة مرات ومرات؛ فهو لا يصدق أن هذه الرسالة كتبتها حبيبته...

حاول أن يُكذِّب عينيه وكتب لها وهو يدمع:

- لا شيء يستدعي الحزن أنا بخير جدًّا..

ولكنه بالحقيقة لم يكن بخير بل كان يُفتَك بِه من الألم...

ثم بعد أن كتب لها أمسك بالهاتف وهو يعتصر ألمًا.. ثم قال بقوة صعقت كل من بالمستشفى:

- آاااااااااااااه.

ثم أُغشي عليه وقُطِعَت أنفاسُه وأخذت أُمه تَبكي وفاطمة تُمسِك به قائلة:

- أحـمـــــــد..... أين التمريض بسرعة..... استغاثة المريض... يموت

ثم جاءت الممرضات لعمل اللازم، وأتين بجهاز إنعَاش القلب وتم صَعقه بالجِهاز عدة مرات حتى استعاد القلب عمله وأخذت أخته فاطمة الهاتف وفتحته وقرأت ما كان يقرؤه وعلِمت ما الأمر الذي أدى لتدهور حالته ثم كتبت رسالة لآية تقول بِها:

- حسبي الله ونعم الوكيل.. أخي بِسَبَبِك حدثت له حادثة وهو بين الحياة والموت وبعد رسالتك قُطِعَت أنفاسُه ويُصارع الموت وأنتِ لا يوجد

بِقَلبِكِ رَحمة...حَسبِي الله ونعم الوكيل.

أغلقت فاطمة الهاتف وجلست بجانب أخيها هي وأمه من أجل استعادة صِحَتُه مرة أُخرى.

ولكِن طَال البقاء يوما كاملا ولم يستعد أحمد وعيه مرة أُخرى ثم جاء مجموعة أطباء وقاموا بفحصه وقالوا لأُمِّه:

- للأسف يا حاجة أحمد دَخَل في حالة غيبوبة مؤقتة بسبب صَدمة أدت لِخلل في وظائف المخ، دعواتكم أن لا تطول وأن يستعيد وعيه خلال أيام..

- يا ربي لطفك بِنا يا أرحم الراحمين، فأنت من تعلم حالنا وتعلم أنه ابني الوحيد، أرجوك يا أللّه لا ترنِي بِه سوءا..

ثم أخذت أخته فاطِمة جانبًا وأخذت تبكي على حال أخيها وتقول:

- يا ربي احفظ أخي وأعِده من جديد كما كان، فليس لي سند غيره، هو الأخ والأب والأمان لي في هذه الحياة يا أللّه.

*****

بعد أن جلست آية والتقطت أنفاسها وتوقفت عن البكاء، قامت بفتح الفيس بوك لتَجِد رسالة من أحمد وقالت لتنظر ماذا كان رده على كلامها ثم فتحت لتَجِد رسالة أحمد: "لا شيء يا آية يستدعي الحزن، أنا بخير جدًّا".

ثم تعجبت كيف هذا أحمد عندما يقول أنا بخير جدًّا معنى هذا أن الأمر كبير وبعدها بلحظات وصلت لها رسالة جديدة من إيميل أحمد كُتبت بِها: "حسبي الله ونعم الوكيل فيكِ، أخي بِسَبَبِك حدثت له حادِثة وبين الحياة

والموت وبعد رسالتك قُطِعَت أنفاسه وهو الآن يُصارع الموت وأنتِ لا يوجد بقلبك رحمة.. حسبي الله ونعم الوكيل".

أخذت تقرأ وكأن الزمن توقف بِها وفجأة قالت بصوتٍ عالٍ:

- مستحيل...أحمد أحمد.

ثم ارتمت على السرير فاقدة للوعي، وما إن سمع من بالبيت صراخَها دخل بسرعة كل مِن أُمّها وأَبيها وإخوتها، ثم وقف أبوها قائلًا:

- آية آية...أفيقي.

ثم وجد آخر ما كان مفتوحا، رسالة من ميل أحمد وقرأها وعَلِم لماذا حدث لها هذا، وفي أقل من دقائق حملها وأخذها إلى المستشفى، وكانت هناك محاولات من جميع الأطباء لاستعادة وعيها، ولكن فشل الجميع وقالوا أنها تُعاني من صدمة حادة ودخلت في غيبوبة من المُمكِن أن تظل أيامًا أو شهورًا على حسب مقدرتِها على تخطي الصدمة..

وقف أبوها وأمها عاجزين عن النطق وكُل مِنهما يَنُظر للآخر كأنه يلوم الآخر على ما وصلا إليه..

*****

(١١)

١٩٩٤

مَا أَجمَل البَسَاطَة وَعَدَم التكَلُّف وَأن تُصبِحَ بِجِوَار مَن تُحِب لِتَتَقَاسَما
الحَيَاةِ سَوِيًّا، هَذِه هِي قِمَةِ السَعَادة
فَقد
أُزِيلَ الهَمّ عَن البُسَطَاء
عِندَمَا أَدرَكوا أَن الضِحكة فِي حَضرَةِ الأَحِبَّة رِزق وَشِفَاء
فَلَا هَمّ لِمَن يَجعَل الله هَمه
وَلَا غَمّ لِمَن يَجعَلَ الرِضَا دَربَه

وقفت نعيمة بالمطبخ لتقوم بتحضير الغداء لوالدها الذي يرقُد بغرفته بعدما أرهقه المرض، وبعد أن انتهت من عمل الملوخية الخضراء بالأرانب والأرز وضعتهم بأطباق على طبلية صغيرة وذهبت إلى غرفته حيث يجلس بجانبه ابنها أحمد ودخلت عليه قائلة:

- اتفضل يا أبي أحلى أكل لأفضل أب.

ضحك لها وقال وهو يقوم من الفراش ومعه أحمد ليجلسوا على الأرض أمام الطبلية:

- ستظلين طوال عُمرِك تضحكين عليّ بالكلام يا بنت أنتِ.

- لا والله يا أبي أنت أفضل أب بالكون هذا كله ليّ.

- وأنتِ أفضل بنت على الوجود أسأل الله أن يحفظك دومًا وأن يعينك في حياتك وتأكدي أن ما تفعلينه معي لا يذهب هباء بل سترين أثره عندما تكبُرين فهذه الدنيا سلف ودين يا ابنتي ومن يدخر الخير يجد الخير له.

- يا ترى يا أبي سنأكل أم سوف نقضيها مديحًا لبعض؟

- بالطبع نأكل يا ابنتي، فتكفي رائحة الملوخية من يديكِ تُشفي أكبر عليل.

ثم أخذا ثلاثتهم يأكلون مع بعضهم البعض وبعد أن انتهوا نظر الحاج محمد لنعيمة قائلًا:

- يا ابنتي أُريد أن أتحدث معكِ بشيء يا ترى هل تسمحين لي؟

- بالطبع يا والدي..تفضل.

- أُريدك أن توافقي على العريس الذي أتت بِه صديقتك سارة فأنا أرتاح له وأريدك أن تتزوجي لتجدي مُعينا لكِ على حياتك فلا أحد يضمن

العمر.. وأخشى أن تكوني وحيدة بلا عون لكِ وابنك يحتاج أيضًا لمن يكون له مثل الأب.

- يا والدي بعد الشر عليك، لماذا تقول هذا الكلام؟ الله يبارك بصحتك ويجعلك دومًا سندا لي.

- الموت ليس شرا يا ابنتي ولكل أجل كتاب وهذه سنة الحياة، والمؤمن الحق الذي يعمل حسابا لكل شيء ولكل وقت، إذا كنتِ تحبينني حقًّا اقبلي يا ابنتي.

- ولكن يا والدي أنت تعلم أنني بعد تجربتي الأولى كرهت الزواج.

- يا ابنتي أصابعك ليست كبعضها، وتأكدي أن أمرك كله خير مهما حدث وهذا ليس كلامي أنا بل كلام رسولنا صلى الله عليه وسلم أن أمر المؤمن كله خير.

- لأجلك يا أبي سأوافق ولأني يهمني أن تكون راضيا عني.

- راضٍ عنكِ دائمًا وأبدًا يا ابنتي، وأسأل الله أن يراضيكِ دومًا.

*****

(١٢)

" بعد البداية "

(مِنَ الجَيِد أَنَك تَتَذَكر أَشيَاء مُبهِجَة أُسطُورِية فَعَلتَها وَلَكِن السيئ أَنَك تَتَذكر مَعَهَا أَن مَن فَعلت لأجلِه كُل هَذَا فِي يوم كَان السَبَب في أسوأ شُعور شَعُرتَ بِه فِي الوجُود ").

يَدّعُونَ أَنَّهُم يَخَافُونَ علَيكَ فَيَبتَعِدُون، وَيَقُولُونَ نَحن أُخوَة تَبًّا لِهَذِه الكَلِمَةِ السَاذِجَةِ القَاتِلَة.

لماذا تركتِني في مثل هذه الظروف يا آية؟ كيف لكِ أن تتخلي عني بسهولة وما معنى أن نظل إخوة؟ هذا هراء يا حبيبتي لأنه لا يوجد بعد الحب أُخوة وكل من يقول هذا يكذب على نفسه.....

فالحُب إما أن يكون حُبا وإما لا يكون، لا أعرف كيف سأكون بدونك ولكن؛ كل ما أعرِفه أنني مُحَطّم أشد تَحطّيم في الوقت الحالي ولا أُريد أي **مخلوق بجانبي غيرك أنتِ.**

هل تعلمين ما أريده حقًّا الآن؟

كُل مَا أُرِيده أَن أرتَاح مِن ضَجِيجِ هَذَا العالَم، أُرِيد أَن أَرحَلَ فِي سَلَام وَكَفَى، فَإني سَئِمت هَذِه الحَيَاة الَتِي لَا يُوجَد بِها فَرحَة تَكتَمِل وَلَا أَعلَم لِمَاذَا، وَالَأكثَر مِن هَذَا أَن جَمِيعنَا يَعلَم أَنَنَا عِندَمَا نَفرَح بِشِدَة نَعلَم كُل العِلم وَاليَقِينَ أَن هُنَاك حُزنا قَادِما بِقُوة سَينهِي هَذِه السعَادَة التِي نَعِيشهَا...

والآن بعد أن تحججتِ بحجج واهية فَلسَوف أتعافى مِنكِ مهما كانت العواقب ماذا ستكون؟

فلا أعلم كيف أتعافى مِنكِ؟ لأني أعلم أن الحب دواؤه بداخل أحضان الحبيب فهذا هو أفضل تعافٍ في الوجود؛ أما عن النسيان أقول أنني سأنسى... والحقيقة لا....

فكيف بنسيانك وأنتِ وَميض حياتي وأنّى لي بنسيانك وأنتِ من تغلغلتِ داخل ثنايا فؤادي.

فلا أعلم كيف جاءت لكِ القوة لتقولي هذا الهراء وأننا أُخوة، لأول مرة أعلم أنكِ تكذبين! وهذه صفة لم أعهدها عليكِ من قبل، فأي خوف تخافينه عليّ. **وهل الابتعاد والرضوخ لكل الظروف هو الأمان؟؟؟**

إذا قُلتِ نعم فأنتِ تكذبين على نفسك أولًا..

لأن الأمان هو أن نُصبِح بجانب من نَحِبه دومًا هل تعلمين لماذا؟

لأن الحبيب هو الوطن والأمان الذي نستند عليه في أصعب أوقات حياتنا وهو الحقيقة الباقية التي مهما جار عليها الزمن لا تتغير.

فإذا ذهب الحبيب ذهبت معه حياتنا، ذهبت معه البسمة والأمل والمقاومة والصفاء ذهبت قِطعَة مِنا لن تعود مرة أخرى.

حَتَى وَلَو أَحبَبت أَلفًا بَعدَكِ، فَسَيَظَل حُبكِ هو الحُب المُقَدس الحَق وَكُل مَا يَأتِي بَعده مَا هو إِلَا تَحرِيف لِمَا يَجِب أَن يَكُون.

*****

وقف كل من أم أحمد وأُخته يشاهدانه وهو مُستغرق في عالم آخر فقط يقاوم وينازع ويُردد دائمًا اسم آية ولا يعلملان ماذا عليهما أن يفعلا؟

وبعد يومين متواصلين

نظرت الأم وابنتها إلى أحمد الذي تحرك جسده ثم فتح عينيه واستعاد وعيه قائلًا: ماذا حدث ؟

تهللت أسارير أُم أحمد وأُخته قائِلين:

- حمدًا لله على سلامتك، حرام عليك ما تفعله بِنا.. ما هذا الحب؟ ومن أين وُلِد لكي يكون له كل هذا التأثير؟ يومان لم نَذُق فيهما طعم النوم بسببك.

- لا تأثير بعد اليوم، فالآن أنا من سوف يقرر كل شيء..

ثم نظر إلى النافذة التي على يمينه وأردف قائلًا:

- مِن الآن لَا يُوجَد مُؤثِرَات، فَكُل مَن تَأثرنَا بِهم قَادُونَا إِلى الهَاوِية، نُضَحِي مِن أَجلِ مَن لَا يَبقَى عَلَينَا،

يَقولون دَائِمًا مَوَ اثِيقَ وَعُهودًا لا يُوفُونَ بِهَا لأَنَهُم لَا يُدرِكُونَ مَعنَاهَا، يَقولون نُرِيد أَن نَخُوضَ قِصَص الأَسَاطِير وَمَا الأَسَاطِير إِلا وَهم خَدعُوا عُقولنَا بِه، من الآن سَوفَ أَحيَا الحَقِيقة فَقَط، مِن الآن سَوفَ أَكُون أَو لَا أَكُون.

نظرت الأم إلى ابنها الذي أمامها وهي تعلم مقدار الصدمة التي تلقاها ولكن أحست من هذا الكلام أن القادم يعلمه الله وحده وسرت بها قشعريرة خوف على ابنها إثر هذه الصدمة أن تجعله شخصًا ليس كسابق عهده...

وإذ فجأة يدخل عليهم ضابط من القسم قائلا:

- حمدًا لله على سلامتك يا أحمد، أخيرًا استعدت صحتك وأفقت ؟

نظر أحمد إليه باستغراب قائلًا:

- الله يسلمك يا حضرة الضابط، والله شيء رائع أنكم تطمئنون على صحة المصابين.

- من المؤكد أننا يهمنا سلامة المواطن، ولكن أنا هنا من أجل شيء آخر تمامًا.

- لعله خير.. تفضل يا حضرة الضابط.. تكلم.

- أنا طبعًا أعتذر عما سأتحدث به في تلك الظروف، ولكن لا بد أن تعرف أنك أمام الدولة مُتهم بإتلاف المال العام، ولهذا أنت ستُحتجز عند

خروجك من المشفى بداخل القسم حتى تدفع الرسوم المقدرة لهذا الإتلاف.

نظر الجميع بتعجب وذهول وتكلمت أم أحمد قائلة:

- ما هذا الذي تقوله يا حضرة الضابط ابني مُصاب بحادث ليس له ذنب به غير أن الأقدار قدرت له هذا... وتقول أنه مُتهم ومطلوب أن يُسدد ما أتلفه من أموال للدولة؟؟ أي تلفيات تقصد؟؟؟

- عمود الإنارة الذي اصطدم بِه تهشّم ولم يعد صالحًا بعد الآن، ولهذا مطلوب مِنه أن يسدد ثمنه حتى لا يُسجن وقُدر ثمنة ب ١٧٠٠٠جنيه.

نظر له أحمد وهو لا يصدق ما يسمع قائلًا بدهشة:

- عمود إنارة أدفع له كل هذا المبلغ؟؟ وسيارتي التي تهشمت؟؟ وسلامتي أين هي ثمنها عِندكم يا حضرة الضابط؟ أيُعقل هذا الكلام؟ انظر للقانون عِندكم عِند اصطدام شخص بالسيارة وقتله وهو يسير بالخطأ، يُدفع له فقط تعويض لا يتعدى الخمس مئة جُنيه وتقول لي أدفع لعمود إنارة ١٧٠٠٠ جنيه، ما هذا الهراء؟

- هذه قوانين يا أحمد ونحن ما علينا إلا اتباع التعليمات، وللأسف يا ليتك كنت أصبت إنسانًا، صدمتك له وقتها كان سيقال قتل بالخطأ وقتها كان لها مخرج أما أموال الدولة ليس لها مخرج.

وما عليك سوى الدفع أو الحبس اعلم هذا جيدًا، أستأذن الآن.

وهو يهمّ بالخروج أخرج من جيبه كارتين أعطى كارتا لأم أحمد وكارتا لأحمد قائلًا:

- وهذا كارت شخصي عليه أرقامي احتفظا به وكلِمَاني في أي وقت، واعلم يا أحمد أن بالخارج يقف أمين شرطة لاصطحابك عند الخروج إلى

القسم لإنهاء المحضر المقام ضدك بالدفع أو وقتها ستُحبس للعرض على النيابة.

خرج الضابط من الغرفة وظل أحمد شاردًا في ملكوت غير الملكوت وقطع شروده والدته قائلة:

- ماذا سنفعل الآن يا بُني؟

- لا أعلم والله يا أمي ماذا سأفعل.. أنا مذهول مما أراه وأشعر أنني بِحلم وليس بعِلم، لا أعلم كيف حدثت كل هذه الأحداث جملة واحدة وكل ما أحتَكِم عليه فقط خمسة آلاف جنيه، وكنت أدخرها لأشتري شبكة وأقيم خطبتي ولكن تغيرت الأقدار إلى قدر لا أعلم ما هو كينونته..

نظرت فاطمة لأُمِها مُقترحة عليها أن تُكلم أخوالها الذين يُقيمون بالخارج وتطلُب مِنهم سُلفة لتكملة المبلغ لخروج أحمد أخيها من هذا المأزق.

نظر أحمد إلى أمه قائلًا:

- مع إني يا أمي أعلم إن إخوتك هؤلاء لا يُساعدونكِ بشيء مادي ولكن ليس لنا سبيل غيرهم وما لنا حيلة إلا أن نأخذ بالأسباب وبالنهاية المُقدر هو ما سيكون.

- نعم يا بُني نحن نأخذ بالأسباب والباقي تقادير الله ﷻ.

ثم تذكرت صديقتها سارة التي كانت تقف بجانبها في أي موقف وقالت:

- الله يرحمك يا أوفى صديقة في عمري كله ويجعل قبرك جنة ومن المؤكد أنكِ بالجنة الآن فأنتِ كُنتِ فرجا لأي شخص يقع بضيقة. ثم أخرجت الهاتف من حقيبة يدها واتصلت على أخيها الكبير الذي يقيم بالخارج قائلة:

- أخي العزيز.. كيف حالك؟

- الحمد لله يا نعيمة..كيف حالكم أنتم ؟

- والله يا أُسامة ابني أحمد حدثت له حادثة بسيارته وهو الآن بالمشفى ولكن من سوء حظه أنه اصطدم بعمود إنارة ومُقدم به بلاغ من الدولة وعليه دفع ثمن العمود أو الحبس، وأنا حتى الآن لا أصدق ما نحن فيه.

- ما هذا الذي تقولينه؟؟ هذا لا يُعقل إطلاقًا، مستحيل، كيف للدولة أن تحبس شخصا اصطدم بعمود إنارة؟ أكيد يقولون كل هذا من أجل التهويل والإخافة حتى تقوموا بالدفع.

- والله هذا ما حدث يا أخي ولو كان معي المبلغ لكُنت دفعت، ولكن نحن لا نمتلك سوى خمسة آلاف جنيه ومتبقٍ اثنا عشر ألف جنيه ولا نعلم ماذا نفعل؟

- عمود إنارة ثمنة ١٧٠٠٠ جنيه! ما هذا والله همكم يضحك ويبكي في آن واحد، والله يا نعيمة الحال معنا هنا يرثى له ولا نجد مالا لدفع الكهرباء وقد تراكمت علينا ديون إيجار وأشياء كثيرة، أنتِ تعلمين لو كان معي لِما ترددت وساعدتكم وهكذا نفس الحال حسين فنحن في أمر واحد .

- أعانكما الله يا إخوتي وأعاننا على ما نحن فيه.

- آمين يا أختي وإن جدّ جديد أبلغيني وإن شاء الله خيرًا ولا مكروه يحدث.

نظر أحمد لأمه قائلًا:

- كنت أعلم ما سيقوله جيدًا، للأسف هؤلاء إخوتك لا يُساعدون ولا يفعلون شيئًا دائمًا.

- ماذا سنفعل يا بُني هم طبعهم دائمًا هكذا لا يساعدون أحدًا للأسف

ما مروا بِه يا أحمد كان كثيرًا ولا ألوم عليهم.

ظل الثلاثة ينظرون لبعضهم البعض ولا يعلمون ماذا سيفعلون وتركوا الأمر لمن بيده الأمر يُنهيها كيفما شاء.

بعد مرور يومين

خرج أحمد من المشفى إلى قسم محطة الرمل ومعه العسكري وبصحبة والدته وأُخته، ثم دخلوا سويًّا إلى الضابط "حسين البنهاوي" ثم ما إن دخل العسكري حتى أدى التحية ثم تكلم قائلا:

- تمام يا فندم تم إحضار أحمد السيد بركات لسيادتكم.
- شكرًا يا " فتحي"، انتظر أنت بالخارج.

خرج العسكري ووقف كُل من أحمد وأمه وأُخته ينتظرون الضابط ليتحدث.

نظر الضابط لهم قائلًا: اجلسوا، ثم جلس كل منهم وبداخلهم علامات استفهام.

تكلم الضابط موجهًا كلامه لأحمد قائلًا:

- ماذا قررت يا أحمد ؟
- والله يا حضرة الضابط أنا حتى الآن لا أُصدِّق ولكن أنا كل ما أملكه هو مبلغ خمسة آلاف جنيه فقط لا غير.
- بالحالة هذه ما علينا سوى عرضك على النيابة وهي من ستُقرر في هذا الأمر، وادفع هذا المبلغ وقل للمحكمة أن هذا كل ما تمتلكه وأن سيارتك تهشمت ولعلها ترأف بِك.

نظرت الأم إلى الضابط وهي تشعر بحسرة وألم على قلة حيلتها وهي لا تعرف كيف تحمي ابنها من الخطر وتشعر بالعجز قائلة في كسرة:

- يا حضرة الضابط ..أرجوك، لا يوجد أحد يعولنا غير أحمد ابني هذا أرجوك أن تُساعدنا وأن تقول لنا ماذا نفعل حتى لا يُسجَن، قل لي كيف يُسجن من أجل حادث ليس له ذنب به؟ وكيف يُسجن من ليس معه أن يُسدد للدولة حق إتلاف شيء بغير قصد؟ أليست الضرائب ورسوم دخول المحافظات من أجل هذه الحوادث القدرية ؟

- والله يا حاجة أنا أُقدّر كل هذا، وأنا أيضًا لا أعلم كيف أساعدكم.. قلت لكم إن كان التلف في هيئة إنسان كان مقدورًا عليه؛ أما حق الدولة لا يضيع مهما كان، أما عن الضرائب والرسوم التي تُدفع فكل هذا نحن أيضًا لا نعلم أين تذهب هذه النقود القادرة على بناء دولة كاملة من الألف للياء.. ولكن أنتِ تعلمين أن هذه سياسات وممنوع أن نتحدث في مثل هذه الأمور وكل ما أقدر عليه أن يحتجز لدي ليلتين بحبس انفرادي بعيدًا عن المجرمين، لأني أتفهم الوضع وأيضًا عند ترحيله للنيابة أن لا أضعه بصندوق المتهمين وهذا كل ما أقدر عليه مراعاة لهذه الظروف.

- الله يُعيننا يا حضرة الضابط وشكرًا لك على كل هذا أسأل الله أن يُكثر من أمثالك المحترمين وأن يجعلك دائمًا ليّن القلب على كل إنسان مظلوم.

بعد مرور يومين

دخل أحمد محكمة الإسكندرية بالمنشية، وترافقه والدته والعسكري والضابط، أخذ ينظر أحمد لمنظر المحكمة الفسيح الذي يمتلئ بأُناس كُثر من جميع الأطياف يمينًا ويسارًا، ومن يقف ووجهه مليء بالدماء وبجانبه من

تعارك معه، وآخر يرفع قضية على امرأته من أجل أن يرى أطفاله.. وآخر مظلوم أُتهم بجريمة قتل ليس له يد بِها؛ والمحكمة لا تأخذ إلا بالأدلة الملموسة مهما كانت تعلم علم اليقين أن من أمامها مظلوم فإنه مُتهم لأنهم وجدوا بطاقته بجانب القتيل.

عوالم خفية داخل كل إنسان وكل مكان والآن أحمد يواجه مصيرا لا يعلم كيف ساقته الأقدار إلى هذا المكان، صعد الجميع درج السلالم حتى وصلوا إلى مكتب النائب العام وقال لهم:

- ضعوه في غرفة المتهمين حتى يأتي دوره.

وقفت الأم في ذهول قائلة له:

- يا فندم ابني لم يأت بجريمة حتى يوضع بغرفة المتهمين.

نظر لها بدون رأفة قائلًا:

- الجميع هنا واحد، ولو لم يكن مُتهما لم يَكُن ليُصبِح بِمثل هذا المكان ولا نِقَاش في هذا.

- حسبي الله ونعم الوكيل، هذا ظُلم..

أنتم من تغيرون الناس للأسوأ.

جاء العسكري ومعه "كلبش" ووضعه بيد أحمد وينظر أحمد في صمت كأنه مغشي عليه أو منوم مغناطيسيًّا يفعل ما يُقال له فقط، ثم سحبه العسكري بممر أمام مكتب النائب العام بآخر غرفة على الجانب الأيسر ثم فتح العسكري باب غرفة الحجز وما إن نظر أحمد تقزز من المنظر الداخلي الذي يعُج بأُناس كُثر لا يوجد مكان للوقوف به ورائحتها نتنة من العرق وتكالب الأنفاس وعدم الاستحمام.

دخل أحمد وأُغلِق عليه وأخذ ينظر لمن حوله مُتعجبًا، ووجد اثنين يتعاركان، واحد يقول للآخر بصوت مبحوح:

- علبة السجائر إذا لم تظهر لن يكون خيرًا لك.
- لا أعلم عنها شيئا، اغرب عن وجهي.
- من الواضح أنك لا تعرف من أنا، سوف أغرب عن وجهك ولكن ليس قبل أن أُعلِّم عليك.

نظر أحمد متعجبا وهو يرى الرجل بسرعة فائقة وبدون تردد يخرج من بين أسنانه موس حلاقة ثم يقطع جانب الوجه الأيمن للرجل، وبسرعة امتلأ وجه الرجل بالدماء وهو يتأوه، ما إن رأى أحمد هذا ثم أغمض عينيه وقال في نفسه:لا.. يستحيل أن يكون كل هذا حقيقة أكيد أنا أحلم، يا رب أيقظني أرجوك فأني لا أقدِر على هذا الحلم الشنيع، ثم وجد أحد يهمس بأُذنِه قائلًا:

- كلمة من أخ لك خائف عليك كن متماسكًا وإياك أن تُظهِر أنك ضعيف، لأنه لو عَلِم أحد بهذا سَيَدهسونك هُنا ويبعثرون كرامتك أشلاءً، أنت بداخل غرفة البقاء بِها للأقوى، بالخارج ستجد من يقف بجانبك هنا ذراعك هو صديقك لا غير، وما دام ذراعك بِه قوة ستجد لك من يناصرونك.

فتح أحمد عينيه ليرى من هذا الذي ينصحه وأخذ يتمالك زمام أموره وينظر بقوة وابتسم له حتى يوصل له الرسالة أنه بلغه المقصد من كلامه، **وقال في نفسه: للأسف ليس السجن فقط هو من بِه هذه القوانين بل من الواضح أن؛**

الضعفاء ليس لهم مكان بِهذه الحياة لأن هذه الحياة البقاء بِها للأقوى فقط.

*****

بعد ساعات

داخل إحدى غرف المحكمة يقف أحمد خلف قضبان حديدية وتجلس والدته وأُخته بمقاعد الحضور وتنظر لابنها الذي يقف خلف القضبان وبعد دقائق دخل القُضاة سويًّا ليعلنوا بصوت جهوري: محكمة..

وقف الجميع ثم جلسوا وقال القاضي:

ابدأ القضايا..

وقف الرجل مُناديًا قائلًا: القضية رقم ١٤٠٥ جنح إسكندرية لسنة ٢٠١٥ المتهم أحمد السيد بركات.

نظر القاضي لأوراق القضية ثم نظر لأحمد الذي يقف خلف القضبان قائلًا:

- المحضر يا أحمد يقول أنك كنت تقود سيارتك بسرعة قصوى وتهور، مما أدى إلى انقلاب السيارة بِك واصطدامك بعامود إنارة خاص بالدولة مما أدى إلى إتلافه؛ وعلى هذا ألزمتك الدولة بدفع مبلغ ١٧٠٠٠ ألف وأنت كل ما دفعته هو خمسة آلاف جنيه، هل ستدفع باقي المبلغ أم لا؟

نظر أحمد إلى القاضي ثم قال:

- انظُر إليّ أيُها القاضي وإلى أُمي المُسنة التي تجلس أمامك بالمقاعد هي وأختي كيف لشاب مثلي يعول أمه وأخته أن يدفع كل هذا المَبلغ؟ ومن أين أدفعه وقد دَفَعت لكم كل ما أملكه؟، وهل هذا من الأصل يستدعي أن أقف خلف القُضبان بسبب عمود إنارة ؟

- نعم يستدعي لأنك أتلفت شيئًا ومن أتلف شيئًا عليه إصلاحه أو

يأخذ عقابه وحكاية ظروفك هذه ستُراعى في الحكم.

- والله أكثر الله من خيركم لأنكم ستراعون ظروفي في الحكم، وليس لي أن أقول شيئًا بعد كلامكم غير حسبي الله ونعم الوكيل وأني فوضت أمري إليه.

أخذ القاضي ينظر لأوراق القضية ويتشاور مع المستشارين بجانبيه ثم بعد دقائق تكلم قائلًا:

- حكمت المحكمة حضوريًّا على أحمد السيد بركات بالسجن لمدة سنة مع الشغل والنفاذ.

نظر أحمد للقاضي بغِلٍّ بعد أن سمع الحكم ووقف صامتًا ثم قامت أخته وأُمه وهما يبكيان ووقفا أمامه بالقضبان قائلين:

- حسبنا الله ونعم الوكيل.

ثم قالت الأم وهي تنظر بقهر إلى ابنها:

- اصبر واحتسب يا بُني مِثلَما صَبَر سيدنا يوسف وسُجن هو أيضًا وكان أكبر خير له، لعل هذا أيضًا خير لك وإني لأعلم أن الاختبار صعب ولكنه أمر الله... أعتذر لك يا بُني أنني السبب لولا قلة اليد لكنت خرجت ولم تقف بمكان مثل هذا، سامحني يا بني.

- لا عليكِ يا أمي ،فلا لوم عليكِ **ولكن العيب في القوانين التي لا تعلم شيئًا عن الرحمة والإنسانية فهم من يجعلون من الملاك شيطانا على هذه الأرض**.. سامحاني بحقكما ولا تقلقا عليّ فأنا سأكون بخير أهم شيء أن تعتنيا بأنفسكما لحين خروجي من هُنا.. وأرجوكما من يسألكما عني قولا له أنه سافر بالخارج من أجل العمل ولا تأتيا إليّ طوال فترة سجني واعتبراني مُسافرا؛ فأنا

لا أُريد أن أَراكما بهذا الحال ولا أُريد أن يراني أحد وأنا ضعيف الحيلة هكذا.

نظرت له أُخته وهي تربت على يديه وهو يمسك بالقضبان الحديدية قائلة والدموع تنهمر مِنها:

- أنا لست مُصدقة كل هذا، أشعر أنه كابوس.. كيف لي أن لا أراك كل هذه المده قل لي يا حبيب قلبي وسندي؟.

- جميُعنا الآن بكابوس ولكن علينا أن لا نجعله يُميتنا رُعبًا، اصمدي أُختي وإن شاء الله الأيام ستمر مسرعة، وهيا من هنا ارجعا إلى المنزل واتركاني أواجه عالما جديدا من المؤكد أنني سأتعلم مِنه.

(١٣)

مايو ١٩٩٧

الفَرحة الحَقِيقِية تَأتي بَعد مُعَاناةٍ وَالكَلِمَة التي تَتَأخر عَن مَوعِدِهَا وَتَسمَعُهَا بَعدَ طُولِ انتِظَار لَهَا مَكَانة خَاصَة،

لِذَلِكَ لا تَستَعجِل أَقدَار الله كَثِيرًا وَاتُرك كُل شيء يَحدُث وَقتما يَشَاء الله وَتَأكَد أَن الفَرحَة التي كُنتَ تُرِيد أَن تَشعُر بِهَا وَقتَهَا سَتكُون أَضعَافا.

جاءت نعيمة إلى جارتها " ماريان" بعد أن أنهت وقت عملها لتأخذ ابنها، ووقفت أمام باب الشقة هي وابنتها "فاطمة" ذات العامين والنصف من عمرها تقريبًا وضغطت على زر الجرس لتفتح لها "ماريان " قائلة:

- أين أنتِ يا نعيمة ؟

قالتها وهي تأخذ منها ابنتها فاطمة وهي تداعبها ثم قالت بفرحة عارمة.

- أخيرًا حدثت المعجزة، ادخُلي فورًا لابنك.

تعجبت " نعيمة "مما تقول "ماريان"، فهي تعلم أن ابنها لا يتكلم مع أحد لأنه لا يتكلم من الأساس بسبب العمليات التي أجراها جعلته لا يتكلم ولا يفعل أي شيء غير أنه يستكين بأي مكان تضعه به، فهو جاء بظروف خاصة ويعيش حياة خاصة وحاولت أكثر من مرة أن تتركة بحضانة ولكن الأطفال كانوا يستغلون أنه لا يتكلم ويضايقونه فخافت عليه من أن يصيبه مكروه أو أذى نفسي ولا يستطيع التعبير فجعلته معها دائمًا أو مع جارتها ثم قالت في نفسها: يا ترى ماذا حدث.. ماذا فعلت يا أحمد؟

دخلت بهدوء بدون أن يشعر بِها لتجده يقول:

- مام ماما.. مام..ماما..عايز.. ما ما

وقفت غير مصدقة نفسها من الفرحة والسعادة التي غمرتها وقالت:

- الحمد والشكر لك يا ألله على أنك جعلتني أعيش هذه اللحظة، لا أصدق ما تسمعه أذناي.. ابني ينطق بعد خمس سنوات وأول ما ينطق ينطق باسمي..أين أنت يا والدي لتعيش هذه الفرحة فأنت من كنت تلاعبه وبسببك جلس بالشهور حزينًا يجلس بالركنة التي كنت تُلاعِبه بها ينتظرك، رحمك الله يا والدي.. ولا أنسى يوم ما قلت لي: "لعل هذا الذي كُنتِ لا تريدينه يصبح هو

الدواء والسنَد لكِ، اعتني بِه فهو ليس له ذنب بما فعل والده".

ثم جرت عليه بلهفة وشوق كبيرين وهو أول ما رآها خطى ببطء نحوها قائلا:

- ما مماماا!

ثم أخذته بين يديها لتحتضنه بقوة قائلة:

- جدك عندما قال لي: أن ابنك هذا سيصبح أغلى ما لكِ لأنه أول العنقود وأيضًا ابن موت فسيكون له شأن خاص بقلبك، والحقيقة أنك من أعدت لي الفرحة من جديد فـ بِك أنت وفاطمة اكتملت الحياة.

*****

(١٤)

نوفمبر ٢٠١٥

عِندَمَا تُرِغِمك الحَيَاة على أَن تَجعَلَك الشَخص الذِي لَم تُرِيده يَومًا مَا، فَلَا بُدَ أَن تُلَبِي أَمرَهَا، حَتَى يَزدَهِر نَجمك وَتُشعِرهُم بِأَنَك الأَقوى، فَالحُب لَيس لِلمُحِبِين كَمَا قَالوا بِقَدِيمِ الزَمَان إِنَمَا هِوَلَاء مِمَن يَملُكون السُلطة، والمال.

لا أعلم من أنا؟ لأصل لشيء حلمت به فـ أنا لست إلا نملة تُدهس بالنعال، أنا مَن فَقْره أودى بِه إلى أن يكون خلف القُضبَان؛ إلى ضياع من أحبه بِصِدق،

مَا أَنَا إِلَا قَلب مُحتَرِق يَشتَعِل حُزنًا علَى مَا آلت إِلَيه الأُمور، أَنَا مَن كَان يَحيَا وَيَكدَح مِن أَجلِ لُقمَةِ عَيش حَلَال وَيَتَمَسك بِالمَبَادِئ وَالقِيم، وَالآن كَفَرت بِكُل مَا هو مَورُوث بِكُل القَوَانِين التِي تُقَيّد الإِنسَان....

من أنا لأحلم بحياة هادئة مثل الآخرين في ظل مُجتَمَع يُرِيد أَن يَجعَل مِن إِنسَانِيتك مَدَاسًا لِلأَحذِية لِيدهَسُونها في وسط أُناس لا يعترفون إلا بمن معه النقود والسلطة، أما إن كنت إنسانًا بسيطًا ليس معك إلا قوت يومك، لا تملك شيئا سوى أحلام وردية وأهداف مستقبلية فاعلم أنك ميت لا محالة وستُدهس حتى بعد الموت، واعلم أن لا مكان لحلمك في هذا المجتمع مهما كان هذا الحِلم، فإن الأحلام تُشترى أيضًا بالنقود.. بدون نقود أنت لا شيء.

أعي هَذا جيدًا، ولا تقل لي أنني سوداوي، ولكن اسأل جميع من حولك وأنت تعلم الحقيقة حتى من وصل للقمة كان لديه ما لديه ليصل، إما أهله ذوو شأن بالمجتمع أو معه مال ورثه أو معه سلطة، أو بلده وفرت له المناخ لتحقيق حلمه أو كان بزمن غير هذا الزمن.

أما في زَمَنِنَا هذا فلا مكان أصلا إلا لمن يمتلك شيئا مما ذكرت لك.

نسيت أن أُخبِرك أنه من الممكن أن تحقق أحلامك في هذا المجتمع عندما يحدث شيء واحد فقط؛ (**العدل**) وضع تحتها مليون خط... وأن الناس تَحِب بَعضها البَعض... ولكن هذا من المستحيلات لأن الظُلم هو السائد، وقانون الغابة هو من يَتَحكم.

حتى الناس أصبحت تنهش بعضها يا صديقي وهذه الحقيقة.
فلا تنتظر خيرا من مجتمع يأكل بعضه بعضًا.

حتى الزنزانة التي أجلِس بِها يسري عليها قانون الغابة، رغم من المُفترض أن بِها مظلومين مِثلي والجميع في دائرة واحدة، ولكن أيضًا الجميع يأكل بعضه هُنا...

فَهُنا أيضًا من يمتلك المال يكن له مكان للجلوس على سرير خاص، من معه نقود يشترى سجائر، حتى هنا أيضًا يوجد تجار مخدرات وكل شيء، وأعلم أنه من المضحك أن تكون بمكان يقال عنه أنه تهذيب وإصلاح أن يصبح إفسادا وانهيارا لكل الأخلاقيات، نعم... هنا توجد حياة أخرى تَختلِف عن الخارج بكثير.. حياة وسط أربعة جِدران ولكن بِها كل شيء، ولا أنسى أول يوم دخلت به الزنزانة فهُنا يوجد ترحيب بالمسجون الجديد حتى يرهبونه، بالعامية(يعلّموا عليه) ووقتها تذكرت كلام الرجل الذي همس بأُذني وقت ما دخلت لأول مرة غرفة الحجز لأنتظر المُحاكمة.

ووقتها لا أعلم كيف تبدلت، نعم أعترف أن رياضتي بكمال الأجسام والكونغ فو التي كنت أُمارسها ساعدتني على الرغم أني لم أكن أتوقع أن أفعل ما فعلته... فأنا من الخارج هادئ أحاول الابتعاد بقدر المستطاع عن المشاكل لأني أعلم نفسي عندما أغضب لا أحد يمكنه إيقافي، وأتحول من شخص يقولون عنه طيبا لا يستطيع حتى إيذاء نملة إلى وحش مُفجع كاسر لا يقوى أحد على الوقوف أمامه لأن من يقف أمامه يُدهس، فعندما همّ أحدهم ليمنعني من الجلوس وقتها مع السباب الذي سمعته بكل الألفاظ الجارحة التى تمس الأم والأب وكل شيء، وأنا من يعرفني جيدًا يعلم أنني عِندما أسمع

سُبة عن أمي وقتها لا أتمالك نفسي، وقتها فقط أمسكت ذراع من يحاول منعي وبحركة دائرية كسرته وهمَّ أكثر من أحد ليقف أمامي وبأيديهم سلاح أبيض أو -مطواة- ليعلنوا الحرب وتقطيعي لأشلاء، وقتها تذكرت كل أساليب الكونغ فو في مواجهة الأسلحة لأكثر من شخص ووجدت نفسي أمسك بيد أحد همّ لطعني وأفادي به آخر ليطعنني وأغرِسهم ببعضهم البعض... وآخر يأتي من الخلف فأحترس وانخفض لأسفل وبقدمي وبحركة دائرية وبكل قوتي أضرب بمعاصم أرجلهم جميعًا ليقع جميعهم بحركة واحدة وأنهال عليهم ضربًا باللكمات وقلت لهم:

"تعتقدون أن الطيب الحليم لا يقدر على شيء، لكن ما لا تعلمونه أن الطيب الحليم عندما يتبدل يكون أشد بأسًا من مَن يظهر الشر والقوة العظمى، فقوة الحليم عندما تخرج تكون أضعاف الآخرين، ومن هنا في هذه الزنزانة أقول لكم من يتعدى حدوده معي فسوف أقتله ولا أبالي بشيء؛

فاحترسوا مِن مَن ظُلِم وداست الدنيا عليه بقدمها.

والمُحترم العاقل له مني كل الاحترام، والسافل منكم ليس له إلا أن أسلب منه كرامته.

فأنا لا أخشى الموت بقدر ما أخشى أن أحيا بكرامتي.

نظر الجميع لي بانكسار بعد ما لقوا مني ما لاقوه وهمَّ أحدُهم ليجعلني زعيمًا عليهم، ووقتها قَبِلت لأن القوانين تقول:

إما أن تكون زعيما قائدا للقطيع، إما أن تكون مثل القطيع.. تُقاد.

وبعد لحظات جاء أُمناء الشرطة بعد ما سمعوا وعلِموا ما حدث وأخذوني وأخذوا المصابين وأخذوا بعضًا ممن شاهدوا الواقعة ووقفت أمام

مأمور السجن لينهرني قائلا:

- أنت هنا في سجن إصلاح وتهذيب وليس للفساد، وما فعلته هذا سيكون عاقبته وخيمة..

نظرت له بلا مبالاة لما يقوله وقلت له:

- لا أخشى أي عقاب على ما فعلته لأن هذا كان حقا، لا بد لي أن أدافع عن نفسي وأي عقاب أشد ألمًا من الظُلم؟، فأي عقاب على أشياء ارتكبتها ستكون هينة وسأقبل بِها، لكن قبل أن تقول إصلاحا وتهذيبا انظر داخل كل زنزانة يا سيادة المأمور واعلم أن ما بالداخل ليس إلا فسادا وتخريبا.

نظر له المأمور وهو يستشيط غضبًا قائلا:

- وهل أنت من ستعرفني ما يحدث بالداخل؟ فجميعكم مجرد قطيع يَدهَس بعضه ولا يريد أن يحيا حياة إنسانية شريفة.

نظر له أحمد وهو غاضب قائلا بصوت جهوري:

- أي إنسانية؟ تحدثني عنها يا سيادة المأمور؟؟ أي إنسانية وأنا كان كُل حِلمي أن أستُر نفسي وأبتغي الحلال الذي شرعه الله وأُغلِق الباب في وجهي، أي إنسانية؟ وأنا كنت أسير بجانب الحائط وإذ فجأة انقلبت الأمور رأسًا على عَقِب.

أي إنسانية؟ وأنا كنت من أعول أمي وأختي وبسبب قوانين لا تراعي الإنسانية جعلتهما الآن بلا ظهر لهما.

أي إنسانية جاءت بي إلى هنا وأنا كل ما فعلته حادث حدث لي وصدمت عمود إنارة وليس معي أن أدفع ثمنه لكم.

أي إنسانية؟ تقول أنني أحبَس داخل زنزانة بِها القاتل والسارق والمختلس

وتاجر المخدرات وكل هذا لأنني لا أمتلك مالا أسُد بِه ما عليّ؛

للأسف أنتم من تجعلون من الإنسانية حيوانية.

وقف المأمور صامتًا لا يعلم ماذا يرد على أحمد غير أنه قال له:

- ولأنك قد ظُلِمت تفعل ما فعلت بداخل الزنزانة؟

- ما فعلته كان دفاعًا عن كرامتي ونفسي وأُمي التي تَعِبت من أجل أن تجعلني أقف على قدمي ويأتي إنسان سافل مُنحط يَسُبها، وأنتم تعلمون أن المستحدث الذي يدخل عليهم ماذا يُفعل به.

- يوجد أمناء شرطة وعساكر كان من الممكن أن تستنجد بِهم قبل أن تفعل ما فعلته.

ضحك أحمد ساخرًا ثم قال:

- ليحدث لي كما حدث لسابقيهم بعد إصابتهم، أليس كذلك يا سيادة المأمور؟

استشاط المأمور غضبًا ثم أمر العسكري أن يأخذ أحمد بسجن انفرادي لمدة أسبوع كامل.

*****

كانوا يعتقدون أنهم بِهذا السجن الانفرادي يعاقبونني، لكنهم كانوا لا يدركون أن هذا ملاذي وقمة سعادتي أن أكون وحيدًا، لا أحد بجانبي يُصدِر ضجيجًا...

الآن علمت مقولة الإمام بن تيمية "أن سجني خلوة مع ربي، ونفيي سياحه وموتي شهادة"... بالطبع لا أقول على نفسي أني إنسان صالح؛ بل

أصبحت مُفسدا ومليئا بالدنس والخطايا ولكن العبرة أن **لا أحد يقدر على تعكير صفو حياتك إلا إذا أردت أنت فنظرتك للأمور هي من ستحدد أن تكون سعيدا أم تعيسا حتى في أفضل الأحوال، فأفكارك هي مربط الفرس يا صديقي.**

مر عليَّ الأسبوع مرور الكرام ثم عُدت لزنزانتي وعندما دخلت عليهم وقف جميعهم في أشد ترحيب لي وعزموا عليّ بسيجارة وأخذتها وشربتها، على الرغم أنني لم أكن أُدخن ولكن وضعي الجديد لا يسمح لي أن أعترض فإني إن كنت لا أُحِبها من قبل فالآن أصبحت أعشقها لأنها هي الوحيدة التي تحترق من أجلي، هي الوحيدة التي تشعُر بوجعي، هي من ستكون بِها خلاصي من الدنيا في القريب العاجل فعلى من أخشى من بعد الآن؟ من أحببتها تركتني، بلدي وظلمتني، أقرب من لي رفضوا مساعدتي وأنا ضاع مستقبلي فماذا سيكون أشد وجعًا من كل هذا؟!

وبعد مرور شهرين من سجني جاءتني زيارة من الخارج، وقتها انزعجت ورفضت الخروج لأنني تذكرت أن أمي جاءت لي وأنا مِنبه عليها أن لا تأتي طوال مُدة سجني وأن تعتبرني سافرت، ولكن عندما ألح عليا العسكري وقال لي: رجل ينتظرك بالخارج تعجبت وخرجت...ظهر أمامي رجل أسمر اللون طويل عريض المنكبين يرتدي بذلة ونظارة سوداء ولحيته على هيئة الدوجلاس، تعجبت أكثر ونظرت بدهشة لأنني لم أَره مِن قبل، ثم اقتربت منه أكثر وأشعلت سيجارة ووقفت أمامه ناظرًا له سائِلا إياه:

- من أنت؟
- ستعلم من أنا عندما نتحاور وتعلم الغرض الذي أتيت من أجله

وتقبل بعرضي لك..

- غرض وعرض!...وما هو عرضك؟

- نحن نعلم عنك كل شيء وما مررت بِه ونعلم ما فعلته بالداخل ونحتاج لشخص مثلك.

- علمتم ما فعلته بداخل السجن!! والله إنه لشيء يبهرني من الواضح أن لكم عيونا بِكُل مكان.

- نحن يا أحمد لا نختار أي شخص هباءً، من نختاره نختاره بعناية فائقة ونكون دَرَسناه من الألف للياء؛ لنا عيون بكل مكان نعلم ماذا فعلت بكل دقيقة مررت بِها بالداخل ومِن الممكن أن نُخبرك بخطوات أمك وأختك التي تدرس الفنون الجميلة بالخارج وأنت بمكانك.

- من أنتم من أجل أن تصل عيونكم بكل مكان وإلى أهل بيتي؟

- إجابة هذا السؤال ليست بهذه البساطة في حالة قبولك العرض، وقتها ستعلم لأن الداخل بيننا ليس له مكان للخروج إلا للقبر، ولو علمت من نحن ورفضت العرض لم يمر عليك اليوم إلا وأنت مدفون بقبرك، فلا تتعجل لتعرف من نحن وأنا أفعل هذا لصالحك.

- هههههه مصلحتي أم مصلحتكم؟ لا تتلون معي فأنا لا أحب المصطلحات الزائفة.

- مصلحتنا أكيد بالأول وأنت أيضًا سيكون لك خير كثير.

- ما هو العرض ؟

- أن تنضم لنا باختصار ستفعل لنا مصالح بداخل السجن من توزيع حبوب مخدرة على تذاكر لأن عميلنا بالداخل أصبح مكشوفًا وهم الآن

ينقلونه بالمشفى بسبب حالة التسمم التي جاءت له.

رفع أحمد حاجبيه متعجبًا مما يسمعه ثم أخذ نفسًا عميقًا من سيجارته ثم قال: وكيف آمنكم وقد غدرتم على من بينكم؟ وما المقابل لكل هذا ؟

- نحن لا نَغدُر يا أحمد إلا عندما يُغدر بِنا، عميلنا هذا لم يُعطِ أحدا مِن من يسهلون لنا الأمور المبلغ بالكامل وأخذ النصف لحسابه وتم الإبلاغ عنه فمن أجل طمعه نال ما يستحقه، أما عن المُقابل سيذهب مبلغ لا بأس به من النقود لأمك وأختك من أجل أن يرمموا البيت الذي أوشك على السقوط، وأيضًا علاج والدتك التى امتنعت عنه لعدم وجود مال لشرائه، أما عنك فتكون فترة اختبارك شهرين بالسجن، إن نجحت وقتها سندفع لك المبلغ المتبقي لتخرج إلى الحياة من جديد ونكمل مصالحنا بالخارج ووقتها عربونك سيكون سيارة جديدة وشقة جديدة ولا تخف سنقول لأمك أننا علِمنا بحالتك ودفعنا لك المبلغ وستقوم شركتنا بتوظيفك بمبلغ كبير نظرًا لأفكارك الرائعة.

- أفكار رائعة هههههه من أنا لأحمل أفكارا رائعة؟

ثم وقف أحمد وهو يأخذ آخر نفس بسيجارته بِعُمق وهو يُفكر ماذا يفعل؟ هل يُضحي بهذا العرض المُغري وهو لا يعلم ماذا به إن رفض هذا العرض، أم يقبل ويضرب بكل ما تربى عليه عرض الحائط ؟؟

فالآن لا قيم ولا معايير أخلاقية ولا عدالة ولا شيء ليبقى عليه إلا أمه وأخته ثم نظر للرجل وابتسم.

*****

فَتَحت عَينَيهَا لِتَجِد نَفسها تَرتَدي فُستَانا أَبيض وَشَعرها بِدون حِجاب مُنسدِل كَالحَرِير خلف ظَهرِها ثُم أَخذَت تُحلق بِعَينَيهَا لِتَجِد نَفسها وَسط حَدِيقة فَائِقة الجَمَال على شط بَحر فَأخذَت تَنظُر يَمِينها لِتَجِد شَجرة كَبيرة مَليئَة بِالوَرق الأخضر وَمَجمُوعة زُهور تَسكُن حَولها مِن زُهور الجربارة التي تمتاز بألوانها البيضاء والحمراء والبمبى والبرتقالي، وَأَخذَت تَنظُر يَسَارها لِتَجِد زُهور مِن زَهرة الزِّئبَق ذَات اللون المُوف وَزَهرة الأقحوان ذَات اللون الأرجواني وَاللون الأصفر ثُم نَظَرت أَمامهَا لِتَجِد سَمَاء لامِعة مع بحر هادئ وَحَولَها الطيُور تُغَرِّد وَتُحَلِّق في كُل مَكَان ثم خَطَت خُطوات قليلة لِتَستَظِل بِظل شَجرة وَجَلَسَت وَهي تقول:

- أين أنا؟ يااااااه كم هذا مُريح حقًّا، أخيرًا النفس سَكَنَت الجنة وارتاحت من أوجاع هذه الدنيا يا ألله كم أنت كريم ولطيف بِنا، ولكن أين أنت يا أحمد؟

لماذا تأخرت كل هذا الوقت؟

هيا تعال إليّ لنعيش سويًّا بهذه الجنة فهذا المكان لا يحلو إلا بِك وهل الجنة لها طعم إلا بِك يا حبيبي، فأنت جَنَّتِي الحَقِيقِية وَسَمَائِي التي أَستَظِل بِها، هل تعلم أننا مُنذ أن تعرفنا على بعضنا البعض لم يأتِ علينا يوم وأُصيبنا بملل من حديثنا،

بل كل مرة كُنا نتكلم كان الكلام في ازدياد أكثر،

لا أَعلَم كَيف مَن يدّعُونَ الحب يَقُولُون أَنَهُم يَأتي عليهم وقت لا يَجِيدُون مَا يَتَحَدَثُون بِه أَو يُوجَد بالحب فَترة مَلَل وَفتُور.

أَعتَقِد أَن مَن يُحِب حقًّا لا يَشبَع مِن حَبِيبه وَلا تَنفَد كَلِمَاتِه مَهمَا طال

العُمر، فَعَلَيهِم أَن يُعِيدوا النَظَر في حُبِّهِم مَرَّات وَمَرات لأن الحقيقة التي سيكتشفونها أنهم لم يحبوا بعضا يومًا بل هُيئ لهم..

هيا حبيبي أسرع إليّ واترك هذا العالم السخيف المليء بكل ما هو سيئ، فأنا لا أتذكر يومًا عشته بهذا العالم وكانت بِه فرحه تكتمل، دائمًا لا بُد من شيء يُعكر صفو مزاجنا، هيا أنا بانتظارك حبيبي.

*****

أخذ ينظر الحاج يوسف نصار إلى حيث ترقد "آية" بغيبوبتها حتى الآن، وتعيش على المحاليل الطبية التي تقوم بتغذيتها وإذ بالدكتور يفحص حالتها وينظر كل من والدها ووالدتها وإخوتها إلى الدكتور وهم في حالة يرثى لها ثم خرج والدها عن صمته قائلًا:

- قل لي الحقيقة يا دكتور ما هي حالة ابنتي أرجوك فأنا تَعِبت من هذا الحال الذي نحن عليه، حتى الآن شهران متتابعان ولا يوجد تحسن.

نظر الدكتور بحالة من الشفقة على هذا الأب ثم قال له:

- للأسف يا حاج ابنتك لديها غيبوبة بسبب صدمة نفسية، ومثل هذه الحالات من أجل استعادة المريض لوعيه لا بد له أن يتم عرضه على المنبهات التى تثيره والتي كانت سبب هذه الغيبوبة ولا يوجد حل آخر.

- الله كريم يا دكتور.

وبعد أن خرج الدكتور من الغرفة نظرت أم آية لزوجها يوسف قائلة:

- أرجوك يا يوسف قم واذهب للبحث عن أحمد بِكُل مكان ولا تأتِ إلى هنا إلا وهو بيدك.

ثم أخذت تنهمر بين دموعها وتمسك بتلابيب زوجها وأردفت قائلة:

- يا يوسف..كفاك عنادًا، هذه حياة ابنتي ولن أُضحي بها من أجل كبريائك هذا، إن لم تذهب لتأتي به فأنا من سيبحث بِكُل مكان عنه.

نظر لها الحاج يوسف وعيناه دامعتان وأخذ بيديها وأجلسها على المقعد قائلا لها:

- استريحي يا زوجتي العزيزة، سوف أذهب الآن ولن أعود إلا وأحمد معي فهو الداء بالنسبة لي ولكنه هو الدواء لابنتي وقرة عيني.

*****

في صباح اليوم التالي سافر الحاج يوسف إلى القاهرة متجهًا إلى منزل أحمد السيد بركات وهو لا يصدق أنه هو بنفسه من تقوده خطواته إليه ليستجديه أن يلحق بابنته وأن يُعيد لها الحياة مرة أخرى، ثم ما إن وصل ووقف أمام المنزل الذي تظهر عليه متاعب الحياة وأنه عفا عليه الزمن وقال في نفسه:

- كيف كان لابنتي أن تسكن بمثل هذا المكان الشعبي هذا حيث الحارات الضيقة والبيت الذي لم يبق له في هذه الحياة سوى أيام ويكون هو والتراب واحد؟

ثم تقدم إلى الداخل وصعد حيث الدور الرابع الذي به شقة أحمد السيد بركات وضغط على زر الجرس، ثم بعدها بلحظات فتحت الحاجة نعيمة والدة أحمد وهي يظهر عليها التعب والإرهاق والحزن الشديد حيث الهالات السوداء التي أسفل عينيها ونظرت لمن يقف أمامها وهو يقول: السلام عليكم، وردت عليه قائلة:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته أهلا وسهلا بحضرتك... من أنت وماذا تريد؟

ارتبك لحظات ولم يعرف ماذا يجيب بمن يكون ثم قال:

- أنا كنت أريد أحمد من فضلك في أمر مهم.

- للأسف يا أستاذ، أحمد ليس موجودا ولن يتواجد خلال هذه الأيام لأنه سافر.

وقف بعد أن سمع كلماتها وهو يكاد أن يشعر بوخز في قلبه قائلًا:

- هذا مستحيل... كيف يسافر؟؟ كيف؟ أنا في أمس الحاجة إليه هذه

مسألة حياة أو موت، إلى أين سافر يا حاجة أبلغيني وأنا أسافر إليه..

تعجبت الحاجة نعيمة وقالت له:

- لا يصح الكلام هكذا على عتبة الباب، تفضل بالدخول.

وبعد أن دخل وجلس دخلت الحاجة نعيمة لتأتي بمشروب ومياه ليشرب الضيف فهذه عادة عندها لأي ضيف لا بد لها أن تكرمه، وجلس هو يفكر ماذا يفعل في هذا الموقف وإلى أين سافر هذا الشاب وهل لحق بهذه السرعة السفر، جلس شارد الذهن ولم يفق إلا والحاجة نعيمة تقول له:

- يا أستاذ تفضل المشروب.. ما لي أراك شاردًا ولا تسمع من حولك كأنك بعالم غير العالم؟.. قل لي ما الأمر؟

نظر إليها قائلًا:

- الأمر شديد الخطورة يا حاجة وأعلم أني بعد أن أقول لكِ من أكون من الممكن أن تخرجيني خارج بيتك ولكن أنا جئت أستعطف ابنكِ حتى يأتي معي لإنقاذ ابنتي آية لأنها منذ أن حدث ما حدث وعلمت أنه بالمشفى بين الحياة والموت دخلت بغيبوبة وحتى الآن لم تفق، والأطباء قالوا أن شفاءها بإذن الله على من كان سببا بدخولها الغيبوبة وللأسف كل الأبواب أُغلقت في وجهي.

نظرت الحاجة نعيمة له وهي متأثرة على ما حدث لحبيبة ابنها والتي كانت تحبه بصدق وبسبب هذا الأب المتعجرف فقدت ابنها وهو أيضًا فقد ابنته وقالت له:

- ما أخجلك وأنت تجلس هكذا من أجل ابنتك.. ألم يكن من الأفضل أن تترك ابنتك تتحمل اختيارها ولا تحجر عليها ولا تقلل من ابني؟.. للأسف

بسبب تفكيرك وما فعلته أنا فقدت ابني وأنت فقدت ابنتك.

نظر لها متعجبًا ثم قال:

- ماذا تقولين كيف فقدت ابنكِ ألم تقولي أنه سافر.

- للأسف بعد الحادث الذي حدث وبعد أن دخل المشفى وتعافى، وجد الشرطة تطلبه للتحقيق بسبب أنه أتلف عمود إنارة وأن هذا العمود الذي أتلفه من ممتلكات الدولة وحكمت عليه بدفع مبلغ من المال ولم يكن يمتلك المبلغ كاملًا وللأسف حكمت المحكمة عليه بالسجن لمدة عام كامل وقال لي أن لا أقول شيئا لأي أحد.. وجميع من بالمنطقة يعلمون أنه سافر للخارج للعمل ومن أجل هذا كل من يسأل أقول سافر وهو لم يسافر؛ هو الآن بالسجن والله وحده العالم به.

أخذ الحاج يوسف يسمع كلامها وهو يُفغر فاهه مما يسمع وكأنه يستمع لحكايات العجائب التي لم تحدث إلا بمصر ثم قال لها :

- أرجو أن تسامحيني على ما عانيتيه من متاعب، وأنا سوف أذهب وأصلح هذا الخطأ ولأن من أفسد شيئا فعليه إصلاحه ،كما أرجوك أن تدعي أن تقوم ابنتي بالسلامة..

ثم هَمّ بالخروج.

نظرت له الحاجة نعيمة قائلة:

- أنا لا أشمت بـ أحد وابنتك بمثابة ابني ويكفي أنها حبيبة ابني وسوف أدعو لها ليل نهار، وأدعو لك أيضًا أن يصلح حالك فأنت ليس لك ذنب بشيء.. أنت أب ومن حقك أن تخاف على حياة ابنتك وأشكرك على ما سوف تفعله من أجل أن تخرج ابني من السجن وتجعلني أراه حتى وإن كان من أجل

مصلحة وحياة ابنتك فهذا جميل لا أقدر أن أُوفيه لك.

- لا تقولي هذا يا حاجة نعيمة وواضح أنكِ سيدة أصيلة وأريد أن أشهد لكِ بحسن تربية ابنك، فالآن أعلم أن يوم ما جلس معي وتحدث بحديث للرسول صلى الله عليه وسلم تذكرت أنه مثل الشباب يقولون ويستشهدون بالدين من أجل أغراضهم الشخصية والآن أعلم أنه كان حقيقة على علم بما يقول وأنا الذي كنت جاهلا يوم ما رفضت شخصا تربى على يد أُم مثلك إلى اللقاء وإن شاء الله ابنك خلال أيام سيكون بين يديكِ.

*****

في حين كان يجلس أحمد شاردًا بزنزانته يفكر كيف ستغير الأيام القادمة من حياته وكيف له أن يوافق على أن يصبح أداة لأشخاص يدمرون بِه المجتمع، أين ما تعلمه وما تربى عليه؟ وحين شعُر أن ضميره سوف يربح المعركة الداخلية، قال لضميره أُصمت فأنت ليس لك مكان بهذه الدنيا تقول أني سأصبح أداة لتدمير المجتمع.

و أين المُجتَمَع حِينَ قَامُوا بِهَتك كَرَامَتِي حِينَ ظَلَمُونِي وَدَهَسُونِي وَقَضُوا على مُستَقبَلِي، حِينَ جَعَلوا أُمي لا تَعرِف أَن تَتَعَالج جَيدًا وَلاَ تَقدِر على شِراء جَمِيع أَدوِيَتِها وَهذَا مَوت لها بِالبَطِيء؟؟

أَين المُجتَمَع وَأَنَا كُنت كُل مَا أُريدُه أَن أَحيَا بإنسَانِية، أَتُريد الحَقِيقَة أَيُّهَا الضَمِير، أَسمَعك بِوضُوح تَقُول لِي نَعَم.

الحَقِيقَة أَن هَذَا المُجتَمَع حَلَال بِه التَدمِير لأن المُجتَمَع الذِي لا صَلَاح بِه، وَقَانُون الغَابة يَتَحَكم بِه، يَبقَى لَا بُد وَأَن يَتَحَمل نَتِيجَة تَبعِياتِه وَلَا يُلقِي

اللوم على مَن يَخرُج عَن المَألوُف، فَالأولى بَدلًا مِن أَن يَلُوم الآخَرِين أَن يَلُوم نَفسه على أَنه انتَهَك أَقل مَا يَطمَح بِه أَي إِنسَان على وَجه الأرض أَن يَعِيش حَيَاة طَبِيعِية مِثل الآخرين وَلَا يُفَاضِل بَين إِنسَان وَإِنسَان لأن الجميع سَوَاسِية وَهَذَا ما يَقُوله الدِين، أَمَا فِي هَذِه الحَيَاة وَهَذَا المُجتَمَع لا يُوجَد إلا التفرقة بِأحد هَؤلاء قَتَلة الإنسَانِية ألا وَهُم المَال والجَاه وَالسلطَة، ثم وفي حين ما هو شارد في صراعاته الداخلية سمع من يخرجه من صراعاته مناديًا من نافذة بوابة الزنزانه:

- أحمد السيد بركات.

تلفت أحمد للنافذة قائلًا:

- نعم خير؟

- قُم المأمور يُرِيدَك حالًا.

قام أحمد من جلسته خارجًا خارج الزنزانة متجهًا للمأمور وما إن دخل عليه ووقف أمامه رأى المأمور يبتسم على غير عادته قائلًا له:

- مبروك يا أحمد سوف تخرج اليوم إلى حياتك مرة أخرى.

نظر أحمد إلى المأمور بذهول غير مصدق لما يقول وقال في نفسه: كيف أخرج اليوم ولم يمض مدة الشهرين الاختبار مثلما قال هذا الرجل الذي أتى لي، ثم تكلم إلى المأمور قائلًا:

- كيف هذا يا سيادة المأمور.

- أحد من أقرِبائك جاء ويقول أنه دفع لك المبلغ الذي عليك وهو ينتظر بالخارج لتكملوا الإجراءات سويًّا.

تكلم أحمد إلى نفسه قائلا:

أقرِبَائي كيف ونحن ليس لدينا أقرباء يساعدوننا ؟

وحتى أخوالي تهربوا من المساعده فمن يكون هذا الذي تكفل بهذا؟، أكيد هذا الرجل الذي جاء لي قال أنه قريب من أجل أن يُخرجني من هنا لعله خيرًا، ثم نظر إلى المأمور قائلا:

- والله خير أيها المأمور، أنا سعيد بمثل هذه الأخبار.

- وأنا أسعد أنك ستخرج لِتُمارِس حياتك، واعذرني على ما بدر مِني مِن قَبل فهذا كان فرضا عليّ أن أُطبِقَ القانون وأجعلك في حبس انفرادي وأعلم جيدًا أن هذه الأشكال التي بالداخل هي من جعلتك تفعل بِهم ما فعلت وأعرف أننا مُقَصرون ولكن هُنا توجد أشياء خارج سيطرتنا يا أحمد، ونحن لا نرضى عن أُمورٍ كثيرة ولكن؛

أحيَانًا الحَيَاة تَجعَلك تَفعل أَشيَاء لَستَ راضيا عَنهَا لأَنَّهَا جُزء مِن قوانين الوصول لهذه الحَيَاة...

فاعذرني أنني ظننت أنك مِثلهُم.

- لا عليك يا سيادة المأمور، فأنت قلت الحقيقة أن:

الحياة هي من تُملي علينا خطواتنا ولا بد أن نَخطو مِثلَمَا تُرِيد وإلا فَقَدنَا حَيَاتنا، ونحن للأسف نحب الحياة ولا نُرِيد أَن نَفقِدهَا.

شكرًا لك على شعورك الطيب أيُهَا المأمور.

أخذ العسكري أحمد مصطحبه إلى الخارج بسيارة خاصة إلى سراي النيابة، للانتهاء من إجراءات الخروج، وهناك بداخل سراي النيابة بعد أن انتهى من الإجراءات تفاجأ بمن يقف أمامه مطأطأ الرأس ووجه مليء بحزن لم يعهده من قبل، وأخذت الظنون تلعب برأسه يمينًا ويسارًا ثم قال له:

- الحاج يوسف والد آية يقف أمامي هنا؟ ما الأمر؟

نظر له الحاج يوسف قائلًا مجيبًا له:

- أنا من دفعت المبلغ الذي كان عليك يا أحمد ولا تتعجب من هذا، أنا ذهبت لبيتك وعلمت من والدتك ما حدث لك، وهي لم تخبرني إلا عندما علمت ما أمري، أريدك مثلما أخرجتك إلى الحياة يا أحمد أن تخرج ابنتي أيضًا إلى الحياة من جديد، أنت من بيده عودتها من جديد.

نظر أحمد إلى الحاج يوسف بعد أن تغير حاله، واصفر لون وجهه وظهر عليه القلق قائلًا:

- ماذا حدث لآية؟؟..أخبرني؟

- آية من يوم ما حدث لك الحادث وهي بداخل غيبوبة فاقدة للوعي، وإلى اليوم لم يقدر طبيب على إعادتها مرة أخرى إلى الحياة.

- ماذا تقول؟ كيف علمت بما حدث لي؟

- أحد ما رد عليها من هاتفك معنفًا لها، وأنك بسببها بالمشفى كنت بين الحياة والموت.

- هيا بنا إلى المشفى الآن.

*****

خرجا سويًّا.. لأول مرة يسيران مع بعضهما البعض من أجل هدف واحد، فلا جِدال ولا كِبرياء الآن، رَكب أحمد سيارة والد آية وهو بجانبه يسارع الطرقات، وأخذ أحمد ينتابه القلق ويقول:

لماذا الحياة تفعل بِنا كل هذا؟ كيف لكِ يا آية أن تسمحي لنفسك أن يُهزِمك شيء حتى إن كنت أنا فَمَن أنا لِتذهَب حَيَاتك مِن أجلِه، أعلم أنكِ الوحيدة على هذا الكوكب لا تشبهين أحدًا، وأعلم أنكِ الوحيدة التي أحبتني بصدق دون الجميع بعد أمي وأختي.. سامحيني بحقكِ وأني أنا من أوصلتك لهذا، الآن تعلمت أن لا أجعل أحدا يحبني حتى لا أصبح يوما سببًا في أذيته، فَمَن يُحِب حقًّا يَخشى على مَن يُحِبه مِن نَفسِه.

خرج أحمد من عالم أفكاره على صوت والد آية يقول له:

- لقد وصلنا يا أحمد.

نظر له أحمد قائلًا:

- لا أريدك أن تخف يا حاج يوسف، أنا أعلم أن لي مهمة عليّ أن أُتمها وسوف أختفي بعدها فأنا تعلمت الدرس جيدًا.

نظر له الحاج يوسف ممتنًا قائلًا:

- أعلم أنك إنسان ذو أصل، وبعد أن دخلت بيتكم وتعرفت على والدتك علمت أنك من بيت أصيل وأنك شرف لأي بنت ترتبط بِها ولا بُد لك أن تعلم أني أب أخاف على حياة ابنتي، أنت تعلم الناس وكلامهم ونحن لنا وضع اجتماعي خاص.

ضحك أحمد بسخرية وعلى هذا التناقد قائلًا:

- لديك حق فيما تقوله، ولدي حق يومًا ما لا بد أن آخذه من هذه الدنيا.. هيا بِنا.

دَخَلا سويًا إلى المشفى ثم اتجها إلى المصعد وصعدا إلى الدور الثاني حيث تَرقُد آية بغرفتها نائمة في عالم آخر لا يعلم أحد عنه شيئًا...

طلب أحمد من الجميع الخروج لأنه يريد أن يتكلم معها وحدهما، وأن هذه أسرار لا أحد يحق له أن يسمعها ووعدهما بأنه لن يخرج خارج هذه الغرفه إلا وهي عادت إلى الحياة مرة أخرى.

ثم بعد أن خرج جميعهم نظر إليها، لأول مرة يرى وجها ملائكيا ليس له مثيل في هذه الحياة القاسية، نظر إليها وهو تدمع عيناه متذكرًا أحاديثهما.....

عِندمَا نَتَذّكر أَيامًا مَضَت نَبكِي وَنَسَأل أَنفُسنَا: لِمَاذَا وَصَل كُل مِنَا إلى هَذِه الحَالة؟

وَعِندمَا لَا نَجِد إِجَابَات شَافِية لِمَا بِقُلوبِنَا، نَقُول أَن القَدَر أَرَاد ذَلِك. فَنَحزَن أَكثَر لأَنَنَا مَا نَحن إلا أننا نُسكِّن أَنفُسَنَا لِلَحَظَات ونُغمِي أعيُننَا عَن الحَقِيقة آبد الدّهر.

- هل تعلم يا أحمد أني حتى الآن لا أعلم كيف أحببتك، ولماذا أُحِبك.. كل ما رأيته أنك وطن يحتضنني ويحتويني من هذه الدنيا العجيبة، أنت وحدك الذي اقتحم حياتي وجعلني أشعر بالسعادة...

أعلم أنك أصبحت نفسًا أتنفس به وأخشى يومًا أن أختنق بهذا النفس.

إياك يا أحمد أن تكون سبب وجع لي، فأنا لدي الموت أهون من أن تضيع ثقتي بشخص أحببته يومًا.

- لا تخافي يا آية ما دام بي الروح والنفس سأظل بجانبك دومًا ولن أسمح لنفسي إلا أن أكون دواءك، لأني أحبك حبا يجعلني أعشق الموت لو كان سبيلا للوصول لكِ.

- كفى يا أحمد كلام حُب لأني أخجل مِن هذا ولكن أحِبه مِنك قل ماذا أفعل؟

- لا عليكِ يا طماطم اعشقيني وكفى.

عاد أحمد من ذكرياته معها قائلًا لنفسه:

للأسف أنتِ من جعلتِني أختنق بِكِ وجاءت الحياة لتخنِقنا سويًّا يا ليتك ما عشقتِني يا آية، يا ليتني مِت قبل أن أراكِ هكذا.. سامحيني على ما وصلنا له.

فنحن في حياة تميت كل من يشعُر بِها.... ثم اقترب مِنها وأمسك بيديها ووضع قبلة عليها بهدوء، لاحظ أن أصابع يديها قد تحركت وأمسكت بيديه، لم يصدق نفسه وابتسم في حين أن عينيه مليئة بالدموع قائلًا لها:

- هيا يا آية أفيقي من هذه الغيبوبة، أحمد حبيبك خرج من المشفى وأصبح بصحة جيدة، لا تقلقي عليه فهو الآن ينتظرك... أفيقي يا آية أرجوكِ.

ثم سمعها تقول بصوت هادئ غير قادر على المقاومة:

- أحمد، أحمد..

وشعر أنها تحاول أن تُحرِك جسدها وتحاول أن تفتح عينيها وما إن رأى أنها ستفتح عينيها وضع قبلة أخيرة على يديها وقال لها بهدوء:

- لنا لقاء آخر يا آيتي في هذه الأرض حين تشاء أقدارنا.

وخرج مسرعًا من الغرفة متجهًا لأبيها قائلًا:

- الآن يمكنك الدخول، ولا تخف أنا خرجت قبل أن تفتح عينيها لا أُرِيد أَن تَعلم أني جِئت إليها كُل مَا كُنت أُرِيدُه أَن تعلم أنني بخير حتى تعود من غيبوبتها، تحياتي لحضرتك وأُريد أن أقول لك أنني أحببت ابنتك حقًّا وسأظل أحبها حتى إن لم تكن لي ويكفيني أن أراها بخير دائمًا.

ثم تركه وخطى خارج المشفى مسرعًا بدون أن ينتظر تعليقًا من والدها.

*****

ذهب أحمد إلى حديقة المنتزة، ودخل من بواباتها متجهًا سيرًا إلى كوبري المنتزة بالداخل ليجلس على الصخور التي تجلعه وحده أمام البحر ليتلقى أمواجُه التي تمتلئ بالهموم بكل تِرحَاب ويُلقِي إليها همومه أيضًا، فكل شيء في هذه الحياة يُعَبِّر بطريقته الخاصة، الإنسان يُعَبر بالأفعال والكلام، والبحر يُعَبر بتصَاعُد وهبوط الأمواج، والسماء تعبر بالأمطار، والطقس يُعَبر بِالأعاصير وقوة الرياح، جلس أحمد أمام البحر الذي يثور بأمواجه منتشيًا بِه يُفَكِّر كَيف وَصَل لِكُل هَذِه الأحداث وما الجُرم الذي ارتكبه لتَنقَلِب حياته رأسًا على عقب، وَتَذَكر أن هذه هي طبيعة الحياة دوام الحال من المُحال لا سعادة تدوم ولا حزنا يدوم، ثم وهو جالس أخرج من جيبه علبة سجائره وتناول سيجارة وأشعلها وأخذ يُدَخن وينفث الدخان بِكُل قوة، وهو ينظر إلى الأمواج التي لا تهدأ وهو يُفَكر ماذا عليه أن يفعل بعد هذا الدرس المُوجِع الذي تعلمه وعلم بِه، ثم وإذ به وهو جالس منفرد بنفسه وجد من يجلس بجانبه قائلًا له:

- جلستك هذه وإخراج غضبك بالدخان لن تُغير من حياتك شيئا، ونحن لدينا أعمال كثيرة؛ ليس لدينا وقت كثير لإضاعته.

نظر أحمد لهذا الذي يجلس بجانبه؛ فوجده نفس الشخص الأسمر الذي أتى له بالسجن وعرض عليه العمل معهم، ثم تحدث له قائلًا:

- كيف عرفت أنني هنا؟ أم أنكم تراقبونني؟

ضحك الرجل بسخرية قائلًا:

- من الواضح أنك تنسى ما أقول ولا تهتم لما بين السطور، نحن لنا أعين بكل مكان يا أحمد وكيف نُفلتك من بين إيدينا وأنت خامة جيدة

وسيكون لك شأن كبير، ويكفي أن كبيرنا اختارك أنت بالاسم، وأُريدك أن تسمعني بعقلك من فضلك.

قل لي أي وظيفة هذه التي تبحث عنها وستجعل لك شأنا؟ وأنت تعي ما أقول وعمِلت كثيرًا يكاد بجميع الأشغال.

نظر له أحمد بحزن، ثم نظر للبحر وهو يُخرِج دخان سيجارته قائلًا:

- نعم للأسف؛ معك حق.

- هل تعلم أن كل من يعمل عند شخص أو بشركة _أيًا كانت_ ما هو إلا مجرد عبد.. وسيظل هكذا إلى أن يَموت، حتى عِند الموت لن يَجِدوا مالا ليدفنوه بل سيجدوا أن لديه ديونا كثيرة، فكل من يملك شركة يريد أن يظل هو المحتكر ولا يريد لأحد أن يكبر مثله... وعلى هذا يعطون رواتب هم يعلمون أنها لن تُكفيهم ليتدبروا شهرهم ويعلمون أنهم سيُدانون وهم يريدوهم هكذا دومًا حتى لا يقدروا أن يتركوهم، الحكاية مُنظمة عالمية يا أحمد هي من تتحكم بكل هذا هي من جعلت جميع الشعب مُدانين ألا ترى الإعلانات التي تملأ الشوارع اشتري سيارة بالتقسيط ومنزلا بالتقسيط وحتى الأكل أصبح بالتقسيط، كل هذا من أجل أن يجعلوهم لا يُفكرِوا إلا بشيء واحد وهو أن يَصبِحوا مسلسلين لإصحاب الشركات ويرضون بأي وضع مهما كان.

وكل من تراه قد أصبح فجأة من الأثرياء ويخرج على شاشات التلفاز ليحكي قصة كفاحه وكيف أنه بدأ من تحت الصفر في هذه البلد ،ما هو إلا مُخادِع لأنه يعمل معنا بالأساس، بلدك في الوقت الحالي لا تسمح لأحد أن يرمش بعينيه من أجل أن يَكبُر ويعلو من الغلاء ولكثير من الأسباب التي تعلمها، ولكن قديمًا كان الأمر حقيقيا.. كان من المُمكِن أن الفرد يبدأ من

تحت الصفر ويُصبِح ثريا بعد أعوام، أمّا الآن من يبدأ من تحت الصفر ويدعي الفضائل سيظل إلى أن يموت تحت الصفر وأكثر، ونحن لا نضرِب أحدًا على يديه، بل مِثلمَا أنت تدخن الآن ومكتوب على علبة السجائر أنها تؤدي إلى الوفاة ومع ذلك البلد تبيعها وهي تعلم أنها تؤدي إلى الموت وأنت تشربها وأنت تعلم أنها تؤدي إلى الموت.. فهل رأيت شيئًا مضحكا أكثر من هذا؟، هم لهم قوانينهم يا أحمد ونحن لنا قوانينا الخاصة بل نحن نعدل ولا نتلون مثلهم.

- لأول مرة أعلم أنك فيلسوف كبير، يبدو أنك مُختار بعناية فائقة.

- مدرسة الحياة تُعلّم الكثير ولا تحسبني مختلفا عنك، فقد كنت مِثلك والآن أصبحت بوضع مختلف ومعنا لن تُصبِح عبدًا لأحد وستتوفر معك الإمكانيات التي تجعل كل شيء أسفل قدميك وتذكر يا صديقي أنك بـ دنيا لا ترحم ولن تأخذ اعتبارا لأي ظروف أنت تمر بِها وإياك أن تخشى شيئًا وتضعف مهما كان ما تمر بِه لأنك إن ضَعُفت سَتُفرم بمفرمة الحياة ولا عزاء لك.

ابتسم أحمد ناظرًا لهذا الرجل قائلًا:

- فلنبدأ العمل.

*****

عادت آية إلى بيتها وهي كارهة لكل شيء فلا تعلم كيف ستمضي أيامِها ولا تعلم ماذا ستفعل الأيام القادمة فهي كانت تعيش بروح والآن سلبوها الروح التي تعيش بِها، فأخذت تنعي حظها أن حتى الموت لا يتذكرها وعِندما فقدت وعيها وجدت طيف أحمد بأحلامها يُعيدها إلى الحياة، وقالت:

هل أنا مريضة بِك يا أحمد من أجل حتى أن أشعر بِك وكأنك كنت بجانبي وقت غيبوبتي، ويصل الأمر أن أشعُر بيديك تلمِس يدي وأن طيفك يقول لي أنك تعافيتِ ما هذا الحب الذي أكِنه لك هذا ولماذا عِندما نعشق حد الإدمان لا يصبح لمن نحب مكان بجانبنا، قل لي بربك يا أحمد كيف أعيش بهذه الحياة بيوم سألتني لِم تشعُرين بالوحدة مع أنكِ تتمتعين بأسرة كاملة أب وأم وإخوة كُثُر ووقتها قلت لك وما فائدة الكثرة وكل فرد بعالم آخر، أب وأم مُنشغِلان بتوفير الحياة المعيشية التي تجعلنا لا نحتاج لأي شيء وإخوة كل منهم ينشغل بنفسه فقط، للأسف يا أحمد؛

هم جعلونا لا نحتاج لأي من الماديات ولكن جعلونا نحتاج للحب للعاطفة، لسؤالِهم علينا وما أدراك بإحساس عطش المشاعر...

للأسف جعلونا ننفذ أوامرهم فقط كل ما يريدونه أن نصبح بمكانة عالية بالمجتمع لأن المجتمع يقف تعظيمًا لذوي المكانات الرفيعة ولم يجعلونا نختار يومًا ما نريده حقًّا حتى نحن نسير وفقًا لغرباتِهم هُم فقط،

أما عن رغباتنا نحن فما هي بالنسبة لهم إلا عبثًا وكأن الله ألهمَهُم هم فقط التفكير السديد،

نعم أنا أتنفس الآن ولكن ليس لِأنفاسي حياة وستظل حياتي بلا طعم ولا رائحه أما عن اللون فسيكون الأسود هو اللون المفضل لحياتي.

*****

كانت نعيمة تجلس هي وفاطمة ابنتها بالصالة، وكل منهم مُنهَمِك بما يفعله، فالأم كانت تقرأ القرآن وابنتها كانت تتصفح موقع الفيس بوك ووجدت الفيس يذكرها بصورة لها هي وأخيها أحمد من سنتين وكانت عِند دخولها الجامعة وتذكرت يوم نجاحِها عندما عادت للمنزل ووجدت أُمها وأخاها بانتظارها وفجأة تهلل البيت بالسعادة لنجاحِها وقال لها أحمد:

- لا أُرِيدك أن تحملي همّا يا فاطمة ادخُلي كلية الفنون الجميلة مِثلما تُريدين فأنتِ رسامة ذات موهبة عالية ولا تقلقي مِن أي شيء فمصاريفك كُلها ستكون عليّ.

نظرت له أُمه وقتها وقالت:

- ولكن يا أحمد هذا حِمل ثَقيل عليك.

- الله المعين يا أُمي وأختي لا بُد لها أن تصبح ما تريده وهذا حقها عليّ وهي ليست أقل من البنات الأُخرَيات.

- حيث هكذا تُفَكر أفضل بكلية طب وهي مجموعها ما شاء الله يُدخِلها الطب.

نظرت لها فاطمة قائلة:

- لا أُحِب الطب يا أُمي أَنا أعشق الرسم.

علق أحمد قائلًا:

- اتركيها يا أمي تختار ما تحب فـ باختيارها لما تحب ستُبدع وتتميز فلا يوجد مجال أفضل من الآخر إلا بإتقان وإبداع صاحبه له.

- مِثلما تُرِيد هي وكلامك صواب يا بني والله أنا الفرحة لا تسعني وكنت

أتمنى أن يكون والِدها معنا الآن وبالتأكيد هو يشعر الآن بنجاح ابنته أسأل الله أن يرحمه.

عادت فاطِمة مِن ذِكرياتها وهي تَستَدِير لوالِدَتِها وتتكلم قائلة:

- أمي هل يمكنني أن أسألك سؤالا يشغلني؟

توقفت نعيمة عن قِراءتها بالمصحف ونظرت لابنتها قائلة:

- تفضلي يا فاطمة..

- هل من الممكن أن تحكي لي عن أبي؟ أنتِ لم تحكي لي كل شيء عنه وعن حياتِكما.

ابتسمت نعيمة وأخذت تنظر بعينيها لأعلى وهي تتذكر ثم قالت:

- قِصَتي أنا ووالدك أقصر قصة على مر الزمن، وأتذكر أني كنت لا أريد الزواج مرة ثانية وجدك الله يرحمه هو من جعلني أوافق على والدك وكان أفضل شيء حدث لي.. ولكن للأسف وكأن الدنيا كانت لا تريد لي أن تطول معي لحظات السعادة، وكأنها كَتبت عليّ أن أحيا لحظات الحزن فقط...

ثم أخذت الدموع تترقرق من عينيها وتوقفت لحظات وقالت:

لكن والدك كان أفضل رجل رأيته على هذه الأرض، كان طيبا، متسامحا، ليس بفظ، كان اللّين دربه، كان شخصا بسيطا وليس مُتكلّفا كان يعرف الله حق المعرفة ولا يقول إلا صدقًا مهما كلفه الأمر ولكن للأسف الدنيا دائمًا تأخذ الطيبين يا ابنتي لأن الله يريد لهم الرحمة من هذه الدنيا المليئة بالشر، أتذكر يوم ما علِمت أنني حامل بِكِ وقتها كان مسافرا للصعيد بمأمورية بالعمل، تحدثت معه على هاتف العمل بفرعهم بالصعيد وأبلغته أنني حامِل بِكِ، حينها لم تَسَعه الفرحة وقال لي: سوف أحضر حالا وأكون بجانبك، وقال

لي إن كان ولدا سنُسميه حمزة وإن كانت بنتا سَنُسميها فاطمة إن شاء الله تعالى.

ثم قال لي قبل أن يغلق: نعيمة أنتِ جنتي على الأرض، وأشهد الله أني أحبك وأرجوكِ أن تعتني بـ أحمد جيدًا فأنا أحب هذا الولد كثيرا، وعندما تأتي ابنتنا -لأني أشعر أنها ستكون فتاة- ولأن أُمنيتي أن تكون لي بنت لأن البنات هن مصدر الحنان والطيبة، أرجو أن تجعليهما يحبان بعضهما وأرجو أن تسامحيني على أي تقصير كان.

انتابني القلق وقتها وقلت له:

- لماذا تقول هذا الكلام يا إبراهيم؟ أدامك الله لنا لا تقلقني عليك.

- لا تأخذي بكلامي، تخاريف مسافر.. المهم إن شاء الله مسافة السكة وأصبح أمامك إلى اللقاء..أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه.

ثم أغلق الهاتف ويا ليته ما أغلق، في اليوم التالي تلقيت خبر مصرعه بسبب حادث انقلاب السيارة التي كان بها؛ كانت أفضل سنة لي بحياتي تلك التي قضيتها معه.. رحمك الله يا إبراهيم وألحقني بك على خير.

ثم أخذت فاطمة تبكي على أبيها واقتربت منها أمها وهي تأخذها بحضنها لتعوضها عن إحساسها بفقدان أبيها.

وإذ بهما وهم مُنغمسان بما هما فيه، يسمعان طرقا متتاليا على باب الشقة، قامت نعيمة لتفتح الباب في استياء مِن من يطرق الباب بهذه الطريقة، وعندما فتحت ابتسمت بعد أن كادت تدمع ولم تصدق نفسها أنها في عِلم وحقيقة أن ابنها يقف أمامها ولم تشعر بنفسها إلا وهي تأخذه بين أحضانها وتُقبّله بشدة وأغلقت الباب وظلت تقول:

- الحمد لله يا رب،

وجاءت فاطمة مسرعة إلى أخيها ثم أخذها بين أحضانه قائلًا لهما:

- اشتقت إليكم كثيرًا لا أتخيل أن كل ما مر مجرد شهرين فقط، ولكن بالنسبة إليّ كأنهما سنتان من عمري.

رددت الأم قائلة:

- وأنا مرت عليا ليس بسنتين ولكن عشرون عامًا، فالأم اللحظة تساوي لديها سنين ولكن الحمد لله أنك عدت لنا بالسلامة.

نظرت فاطمة لأخيها بحب كبير وهي تبتسم بعد أن شعرت بالأمان بمجرد دخوله عليها قائلة:

- أسعد يوم هو اليوم لأنك بيننا، لا تعلم كم الغربة التي شَعُرنا بها بدونك، جعلك الله دومًا سندًا لنا.

- آمين يا أختي الحبيبة وإن شاء الله سوف أعوضكم عن كل ما مر بِكما وسامحاني.

- سامحناك يا بني، وأدعو لك في كل وقت أن يبسط الله لك الأرض أسفل قدميك.

- آمين يا أمي العزيزة.

ثم قام أحمد ليأخذ حمّاما ساخنا ليعوض كل التعب الذي رآه، وقامت نعيمة هي وفاطمة يجهزان الأكل سويًّا ليأكل من بعد كل هذا العناء.

وبعدها بساعات وهم جالسون مع بعضهم البعض تكلمت الأم قائلة:

- أحمد كنت أُريد أن أُحدِّثك بموضوع.

- خير يا أمي؟

- أختك فاطمة تقدم لها عريس من طرف صديقاتي بالعمل وهو يعمل بالخارج وحالته ميسرة.

- هذا رائع، مع أنني لا أحب أن تغترب أختي ولكن أفضل لها من الجلوس بهذا البلد وطالما أنها مطمئنة للموضوع وموافقة ليس لي إلا أن أوافق على الفور.. وإن شاء الله أنا من سأجهزها وفي أقرب وقت، ولن أجعلها تحتاج لشيء، فقد نسيت أن أقول لكما أيضًا أنني استلمت عقد عمل مع أحد المواطنين بالخارج لكن سأكون بين مصر والخارج.

تهللت الأخت والأم بما سمعا وسعدا بهذه الأخبار وقالت الأم:

- لعل القادم خير بإذن الله.

*****

نُريد أن نستفيق من هذا العالم المليء بالدنس، ولكن أحياناً تفرض علينا الحياة قذارتها وما لنا إلا أن نخضع لها حتى نعرف أن نسير بين دروبِها الوَعِرة. . . .

بداية العمل والتعرف على عالم جديد..

وقف أحمد على الطريق الدائري منتظرًا الرجل الذي سيأخذه لُيعرِّفه على طبيعة عملِه، وبعد لحظات جاءت سيارة سوداء وقفت أمامه، ثم فُتح منها الزجاج الكهربائي ووجد من يقول له:

- اصعد يا أحمد.

صعد أحمد معه، وأخذا يسيران بالسيارة ثم تكلم الرجل قائلًا:

- الآن يا أحمد سوف آخذك لتتعرف على عالم عملك الجديد، ولا بُد من أن تعلم ما هي أنواع المخدرات من أجل أن لا تستغرب مما سوف تراه.

نظر أحمد بكل إنصات له، وأردف الرجل قائلًا:

- يوجد نوع يسمى الحشيش، وهذا أكثرهم انتشارًا نظرًا لأنهم الأقل سعرًا ويوخذ إما بوضعه داخل سيجارة أو بأخذه مع بعض من الحلويات، والنوع الآخر وهو الأفيون وهو نوع شديد القوة ويؤخذ عن طريق الفم.. أو عن طريق الحقن بالجسد بعد إذابته بالماء، ويوجد أنواع أخرى ولكن نأتي لما ستتعامل معه أنت وهو مخدر الهيروين، وهو ما يسمى بالبيسة وكنا نتعامل من قبل بحبوب الترامادول ولكن قلّ من السوق وأصبح الهيروين هو الأكثر تداولًا، وهو أفضل أيضًا لأن ثمنه غالٍ ويصل سعر الجرام ل ٢٨٠ ج ويؤخذ إما بالحقن أو بالشم بالأنف وأجمل شيء بهذا الهيروين أنه إذا جاء ميعاد الجرعة لا بد له أن يتصرف بأي شكل، فعقار الترامادول إن لم يجد الجرعة تنهدّ صحته وأقصى ما يستطيعه أن يعلو صوته وينام، وأقصاه أن يضرب وهو بدون قوة، أما مُدمن الهيروين إن لم يجد ما يسدّ جرعته.. فممكن أن يبيع زوجته ويقتل أيضًا، الخلاصة أن مُدمن البيسة ليس له أمان، ونحن الآن

سوف نذهب لمكان بِه كل هذا بسعر أقل مما قلته لك.. يعتبر سعر الجملة، وسترى أمام عينيك كل شيء، وهذا المكان ستتعامل معه لفترة حتى تثبت الولاء، وبعدها ستصل للأصل والرجل الكبير.

نظر أحمد مستغربًا ثم قال:

- كيف يحدث ما تقوله؟ وأين الحكومة؟؟ وهل هذا طبيعي أم أنا الذي لا أفهم شيئًا أم ماذا؟

- كل هذا يحدث بالتعاون يا أحمد، نحن الآن على طريق العاشر من رمضان والإسماعيلية، انظر لهذا الكمين الذي أمامنا بعد الهايبر..

- لماذا؟؟

- أنت ترى أمامك كمين شرطة، وما لا تعلمه أن المكان الذي سنذهب من بعد الكوبري الثاني بمسافة ١٢ كيلو، قل لي أنت.. كمين شرطة وعلى بعد ١٢ كيلو؟ وسترى بعينيك أن تجارتنا على الملأ، هل إذا كان لا يوجد تعاون كان سيظل هذا الكمين هكذا؟ كان في الحال ذهب وهجم على هذا الوكر، ولا تقل لي أنهم لا يعلمون لأنهم يعلمون ولا يخفى عليهم شيء..

- والله أنا لا أصدق ما تقول.

- دقائق فقط ولن تصدق بل ستؤمن.

جلس أحمد ينظر للطريق وهو لا يعلم ما هو مُقدم عليه، ثم بعد لحظات، وصلا للمكان وركن الرجل السيارة وأخذ أحمد ينظر بتعجب شديد جدًّا وهو يجد سيارات كثيرة على مستوى عالٍ، ومجموعة من البدو يقفون بسلاح، ومن يدخل يسألونه:

- هل تريد شدا أم شكا؟

أخذ ينظر للشباب الذي يقف ويمسك السرنجة ويعطيها لنفسه، وتارة يجد عائلة كاملة بسيارة، هل تعلم ما معنى عائلة بأولاد وزوجة وابن لا يتعدى ال٨ سنوات يقف بالطابور بجانب والده!! أشياء تصدم حقيقة، وأخذ ينظر للصحراء التي بجانبه، فوجد فتيات كثيرات محجبات وغير محجبات، ومنهن من لا يوجد معها مال فتعطي للبائع ثمنا آخر وهو شرفها وأن يُضاجعها من أجل حقنة، والكلمة هنا بحساب شديد فالكلمة الخطأ ثمنها رصاصة ولا يبالون بشيء، أخذ أحمد يقول في نفسه:

- ما هذا العالم النجس؟! ما هذا المجتمع المُنحل؟ هذا المجتمع سيئ للغاية، لأول مرة أعهد هذا العالم القبيح، هؤلاء يُريدون قنبلةً ذرية والله، ولكن ليس هم فقط لأنهم ما هم إلا ضحية لأناس آخرين، بل كل السلطات التي تسمح بهذا وكل المسؤولين هم من يجب أن يُحاسبوا بميدان عام، وهم أيضًا من أوصلوني لهذا المكان.

نظر إليه الرجل قائلًا:

- ما رأيك يا أحمد بعدما رأيت بعينيك على الطبيعة؟
- اتركني بما أنا بِه، لأني إن تكلمت سوف أقول كلاما موجعا.
- هههههههه هل علمت أنهم من يأتون إلينا ونحن لا نذهب لأحد، سوف أقول لك سرا خطيرا حتى تعلم أن مسؤولين هم من يريدون هذا المجتمع على هذا الحال.

نظر أحمد باستغراب قائلًا:

- سر ماذا؟
- يوجد دواء يقدر على معالجة أي مدمن هيروين بخلال ثلاثة أيام

وبدون أعراض انسحاب أو تعب، ولكن جهات ما تمنع تداوله، مع أن كل دول العالم تصرفه بالمجان للمدمنين لديها، وهذا يؤكد كلامي.. أن هذه التجارة تدور من خلال مسؤولين كبار لهم مصالح خاصة بِها، وسعر الحباية من هذا الدواء ٥٠٠ جنيه وأكثر، والمدمن يحتاج على الأقل ثلاث حبات واسمهم السيبكسون وسيبوتكس، والاثنان معًا يُخلِّصون من الإدمان حقيقة، وعندما كانوا يريدون أن يتواجد مِنه بمصر ردَّت جهة ما أنهم ممنوعان حتى لا يتم إساءة استخدامهما، ماذا تريد بعد ما أوضحت لك الأمور.

- أريد أن أفيق من هذا العالم المليء بالدنس، ولكن مثلما يقولون الضرورات تبيح المحظورات، وأنا لا أسرق بل أُتاجر، ومن يأخذ البضاعة يعلم أن بِها سمّا قاتلا هيا نُكمل عملنا.

*****

(١٥)

القاهرة

سبتمبر ٢٠٢٥

عندما تنكشف حقيقة الحياة أمامك وتعلم مقدار حقيقة نفسك وقتها فقط تبدأ بتصحيح المسار، ولكن هل سيتاح لك فرصة حياة وقتها لتُصحح مسارك، أم ستعلم ذلك عندما تصبح بعالم غير العالم؟

والآن،، أنا أرى الأشياء تصغر بعيني شيئًا فشيئًا حتى عم السواد.....

التفتت الممرضة في زُعر إلى الدكتور قائلة:

- دكتور... لقد توقفت نبضات القلب!

كانت الأم تنظر إلى ابنها من خلف الزجاج الذي يحاوطه بغرفة العمليات وتشاهد كل ما يحدث بالداخل، وعلِمت من وجه ابنها والشاشة التي يوصولونها بقلبه ونظرة الممرضة المذعورة للدكتور أن ابنها البِكري قد فارق الحياة.

ظلت عدة دقائق تحملق غير مصدقة حتى تستوعب، وأسندت نفسها على الحائط تحاول الاستيعاب أن فلذة كَبِدها قد مات، إلى أن وقعت أرضًا مُعلنةً عدم مقدرتها على مفارقة ولدها الوحيد.

*****

عندما سمع الدكتور بتوقف نبضات القلب قال على عجلٍ للممرضة:

- بسرعة أعطيني جهاز الصدمة الكهربية.

في ثوانٍ تناول الجهاز وأخذ يضرب بالصدمات على قلب أحمد الذي توقف أثناء إجراء الجراحة، وبعد عدة ضربات متتالية أعلن الجهاز عودة نبضات القلب من جديد، ليُكتب له عُمر آخر، وعندما فتح عينيه وجد الأجهزة على صدره والطبيب قائلا للمرضات:

- الحمد لله كُتب لهذا المريض عمر آخر..إنه حقا ابن موت.

ثم أغلقت عيناه من جديد ليتذكر ما حدث.

*****

قبل شهر من الحادث

دخل أحمد منزل أمه بعدما أوصل زوجته وابنه عِند والدتها لتقيم معها عدة أيام وجلس أحمد ليشاهد التلفاز مع أمه التي كانت تستمع لنشرة الأخبار والتي كانت تعرض الأخبار التالية:

تشهد اليوم مصر عدة حوادث متتالية وجميعها لسبب واحد، فقد فقدت أُم ابنها الشاب ذا التسعة عشر عامًا بسبب تعاطيه جرعات زائدة من المخدرات، ونعرض لحضراتكم صورا للشاب مع حديث أمه لكل المسؤولين.

نظر أحمد بتوجس وخيفةٍ وهو يتابع الأمر باهتمام، وشاهد الفيديو الذي عرض للتو وأم الشاب تقول:

حسبي الله ونعم الوكيل في كل من كان له سبب في موت ابني، أعلم أن ابني مخطئ ولكن الخطأ الأكبر في من يسهلون هذه الأشياء لتصل لأولادنا وتقتلهم، كيف لك يا من تروج هذه الأشياء القاتلة أن تنام بهدوء وأن تنعم بحياة سعيدة وأنت تعلم أنك قاتل؟

عادت الصحفية لتقول:

وهذه كانت كلمات أُم الشاب ذي التسعة عشر عامًا، وتتوالى الأحداث.. خبر آخر لشاب يقتل أباه لعدم إعطائه النقود ليشتري بها المخدر الذي يتعاطاه.

نظر أحمد ودمعت عيناه على ما رأى ونظرت له أمه وهي تتعجب قائلة:

- أول مرة أراك تدمع بسبب الأخبار، رغم أن مثل هذه الأخبار أشاهدها كل يوم.

نظر أحمد لها وقال وهو يدمع:

- أمي، أنا مُتعب حقًّا.

نظرت نعيمة بقلق على ابنها قائلة:

- ماذا بِك يا أحمد؟ قل لي عن السر الذي تُخفيه.. أعلم أن أحوالك قد تغيرت مُنذ أن خرجت من السجن، ولكن قلت أنه وضع طبيعي لما مررت بِه، وإذ فجأة جاءت لك وظيفة مع رجل إماراتي وأخبرتني أنك تسافر أسبوعيا لتُنجِز مهاما ولا أعلم ما هذه المهام الذي تأخذ عليها كل هذه النقود، لدرجة جعلتك تشتري شقة بالإسكندرية وجعلتك تأتي لي بكل ما أحتاجه وتُجَدد سيارتك التي تهشمت بالحادث وتأتي بسيارة جديدة وتُجهز أُختك في عدة شهور وتزوجها، وعندما طلبت مِنك أن تتزوج جهزت كل شيء وتزوجت بسرعةٍ شديدة... هل تظن أنني جاهلة أو لا أفهم أن هناك شيئا غير طبيعي بالموضوع؟.. ولكن ما كان يجعلني أصمُت أنني أعرف من أنت جيدًا وعلى ماذا ربيتك وأقول إن كنت تسير في شيء خطأ فحتمًا ولا بد لك أن تعود، فمن نُبت من مال حلال لا بد له وأن يعود يومًا للحق مهما عصفت بِه الحياة في طرق الانحدار.

نظر لها أحمد وأخذ يبكي قائلًا:

- سوف أُخبِرك بالسر الذي لا يجعلني أنام هادئا مطمئن البال، عندما كُنت بالسجن حدثت معي أشياء، وتبدلت بالداخل لدرجة أنهم جعلوني زعيما عليهم وفي يوم ما جاء لي شخص وقال لي على الحال الذي وصلتما له وأنكِ كنتِ لا تأتين بأدويتك وعرض عليّ أن أعمل معهم في تهريب المخدرات وسيقومون بإخراجي ووقتها ستتبدل أحوال ووقتها وافقت على الفور... فكيف لي أن أراكِ هكذا وأقف عاجزا؟ وكيف لي أن أظل على ما كنت عليه وأنا وقتها

ظُلِمت وضاع مستقبلي بسبب أنني كنت لا أملك نقودا؟

نظرت أم أحمد وهي تبكي بشدة وتقول:

- معنى هذا أن هذه السنوات كنت تؤكلني من الحرام أنا وزوجتك وابنك؟ معنى هذا أنك سبب في موت الشباب الأبرياء؟؟ آاه يا أحمد لقد قتلتني بكلامك هذا ولم أتصور أن تصل لهذه البشاعة.

ثم أخذت تبكِي قائلة:

- يا ليتك تركتني أمُوت قبل أن أعرف عنك شيئا كهذا، للأسف الآن اتضح لي كم أنت ضعيف، إياك أن تظن أن القوة لمن معه مال ونفوذ لا يا بني،

القوة الحقيقية لمن معه الله وحده لمن معه الحق،

وأنت الآن على باطل ولكن أدعو لك بصلاح حالك، وتأكد أن الله يقبل العبد ما دام شعُر بندم شديد وقرر عدم العودة.

نظر لها قائلًا:

- الوقت تأخر يا أمي ولن أُضحي بِكِ وبابني وزوجتي ولن أعود، فهذا قدر الله أن أظل على ما أنا بِه.

- ما هذا الذي تقوله؟ أجننت أم ماذا حدث لك، تقول أنك لن تعود عن الباطل؟

- لا أقصد يا أمي ولكن الطريق الذي أقحَمت نفسي بِه ليس له عودة لأن من يعود مِنه يموت أو يموت أقرب الناس له.

أخذت أُمه تشهق وتشعر بوهن ونقص بالسكر، فنظر لها أحمد وشعُر ماذا فعل كلامه بِها وبسرعة جاء لها بجهاز السكر وتبين أنها بهبوط شديد وفي

عجلٍ جاء لها بأشياء بها سكريات وأخذت تأكلها وبعدها بدقائق بدأت بالتحسن وقالت له:

- أفضل أن نموت جميعًا ولا أن نقبل أن نسير في غير الحق وأن نكون نحن من يقتل الآخرين، من الآن اتركني وشأني فأنا أتبرأ مِنك إلى أن تعود للحق.

- أعدك أن تكون آخر عمل أعمله معهم وبعدها سنهرب ونسافر بعيد عن أعينهم.

خرج أحمد وتركها وقامت هي لتأتي بشيء مهم لم تعلم لماذا احتفظت بِه ولكن كل ما تعلمه أن كل شيء له وقت نحتاج إليه، وفتحت حقيبتها لتمسك بكارت شخصي للضابط حسين البنهاوي الذي جاء لأحمد وقت حادث السيارة.

*****

يوم الحادث

في تمام الساعة الثانية عشرة صباحًا وقف أحمد مُفكرًا ثم عزم أمره قائلا:

- اليوم لا بد لي وأن أقطع رأس الحية، ولا يهمني شيء بعدها.

ثم ارتدى أحمد ملابسه وارتدى واقيا للرصاص أسفل ملابسه، وأخذ سلاحا خاصا وضعه بجانبه استعدادًا للعملية الأخيرة، والتي ستكون أكبر عملية في حياته وسيكون بِها الرجل الكبير المسؤول عن كل توريد هذه المخدرات والسلاح لمصر ثم وهو خارج من البيت نظرت له أمه نظرة اشتياق وعتاب على حاله، وما إن رآها هرول إليها وأمسك بيديها وقبّلها وقال لها:

- سامحيني يا أمي وأدعو الله أن يسامحني، كنت أتمنى أن أحكي لكِ عن كل شئ ولكن خوفًا عليكِ سيظل كل شيء سرًّا إلى أن أعود أو ستعلمين إن لم أعِد إليكِ.

- أبعد الله الشر عنك يا ابني وليهديك الله وليصلح حالك.

ثم خرج من البيت واستقل سيارته متجهًا إلى طريق الفيوم..

*****

الفيوم في تمام الساعة الثانية بعد منتصف الليل

وصل أحمد إلى المنطقة التي سيستَلِمون بها ويُسَلِّمون البضاعة وهي بمكان نائي عن الأعين وسط الصحراء حيث يبعد عن الطريق السريع المعتاد عليه بنصف ساعة أُخرى.. حيث السكون والظلام القاحل وبعد أن وصل قلّب الأنوار ثم بلحظات وجد من يُبادله نفس الأنوار مما يدل على أنهم على

استعداد للمبادلة.. خرج من السيارة ليجِد مجموعات مسلحة يقفون بجوار كل زعيم بسيارته ثم لأنه هو اليد اليمنى للرجل الكبير ولكن كان دائمًا من على بُعد والآن شاهده أمام عينه يخرج له الرجل الكبير قائلًا له:

- أخيرًا التقيت بالفكر الحيّ والرجل المعهود عنه الذكاء وصاحب النصيب الأكبر في مساعدتنا لدرجة أنني تخوفت من كثرة أحاديثهم عنك وأنك من الممكن يومًا ما أن تأخذ مكاني هذا، لدرجة أنهم عِندما قالوا لي أنك تُريدني معك بهذه العملية لم أرفض أن آتي.

نظر له أحمد بابتسامة جافة قائلًا:

- لي كل الشرف أن ألتقي بِك ولكن الشرف الأكبر لي عندما أكون أنا من يُخلّص البشرية مِن أمثالك الذين يستغلون نُقط ضعف الشباب وأحوالهم ويُجنِدهُم لِخدمته في قتل هؤلاء الشباب الأبرياء وقتل أحلامهم وجعلهم عبيدا لشيء واحد فقط..

الكِيف.

نظر له الرجل الكبير وهو يُشعِل سيجارته ويضحك قائلًا:

- كنت أظُن أنك أذكى من أن تقول مثل هذه الشعارات الكاذبة.. ولكن هل يُخيل لك أنك بهذه الكلمات ستكون بطلًا.. هههههههه أو تَظُن أنك ستخرج من هذا المكان سالما أنت وزوجتك وابنك؟!

تجمد أحمد مكانه من هول ما سمع من الرجل، ولم يُصدِّق أنه أدخل أبرياء معه، وابنه بداخل لعبة الداخل بِها مفقود... ولم يصدق حتى شاهد أحد رجال الرجل يخرج من سيارة جيب شيروكي ويُمسِك بزوجته وهي تصرخ

وتقول:

- أحمد.. ما علاقتك بكل هذا؟

وآخر يمسك بابنه الصغير ذي الستة أعوام، الذي ظل يصرخ ويقول:

- اتركوا أمي أيها الكلاب والله لسوف أنتقم مِنكم جميعًا.. أبي أنقذنا...

نظر إليه أحمد وهو ينظر لزوجته"رحاب"، وتذكر أيام زواجهما وتذكر وهي تقول له:

- هل تعلم يا أحمد أنني أعلم أنك أُجبرت على الزواج بي لترضي أُمك؟ وأعلم أنك لا تحبني ويشغلك حب آخر، لكني أُحِبك مهما كُنت لا تحبني وسأظل أُحِبك حتى آخر يوم لي وإن كان ضريبة حبي لك أن أموت كل لحظة وأنا أشعُر أن قلبك ليس لي.

نظر لها متعجبًا وقال:

- كيف علمتِ هذا.. قولي لي هل أمي قالت لكِ شيئًا؟

- لا يا أحمد ولكن عيناك تفضحك، إحساسك يفضحك، كل شيء يفضحك أنك تحب حتى كلمة أحبك عندما تقولها أشعُر أنها بدون حياة يا أحمد؛ الأنثى لديها حاسة ليست لأحد من البشر سواها فهي تعلم من يُحِبها حقًّا ممن يُمثل الحب عليها، ولكنها تتغاضى لأنها تحب.

- سامحيني يا رحاب ولكن قلوبنا ليست مِلكا لنا فهي بيد الله يقلبها كيفما شاء، وأعلم أنني مُقصِر بِحقك ولا أستحق حبك هذا ولكن لن أسمح أن يُهدم هذا البيت بعدما أصبح لدينا ابننا عُمر وسأحافظ عليه مهما كلّف الأمر.

نظرت له قائلة بحزن:

- لا تقلق يا أحمد، قلت لك سأظل بجانبك ولن أترُكك لأنني أُحبك حقًّا..

ثم قست على قلبها وقالت:

- صدقني إن رأيت يومًا من تحبها وعلِمت لها طريقًا، لسوف آخذك من يدك وأزوجها لك بنفسي... فسعادتي أن تُصبِح سعيدًا وحتى عندما تكون هي معك وقتها تُسعدنا بدلًا من الحزن الذي تُعيشنا به يا رجل.

عاد أحمد من ذكرياته مع زوجته وهو يعتليه بركان من الغضب واستمع للرجل الذي تكلم قائلًا:

- أظن أنك تعلم ماذا سيُفعل بِك وبِمَن معك، وبِبضعة نقود ندفعها لمن نعرفهم جيدًا وأعيُوننَا بالنظام سَتُصبِح مُجرد شخص خارج عن القانون كان يسافر ومعه بضاعة من المخدرات وأخذ معه زوجته وابنه حتى لا يشُك بِه أي كمين، وعندما علِمَت زوجته، هددته وبعد أن هددته قتلها هي وابنها وهو فاقد لعقله بسبب المخدر ومعه أسلحة ومُخدرات وكان يهدد الأمن القومي وعندما حاولت الشرطة القبض عليه فرَّ هارِبا، وقتها أطلقوا عليه الرصاص وأُصيب، وبهذا ستكون أحسنت خاتمتك ونحن سننهي عمليتنا ولن تكون إلا مجرد جُثة هامدة أنت ومن معك، أما نحن سَنُمَرر البضاعة وبعد أن ننتهي سنركلك بأحذيتنا ونبصق عليك أنت وزوجتك وابنك.

إعتلى الدم بعروق أحمد وقال في نفسه:

- يا رب أخرج زوجتي وابني من هذا المكان سالمين فأنا من يستحق الموت ولا ذنب لهما بشيء، فأنا الشيطان الجاني، يا رب لا تُؤَاخِذْهما بذنبي أنا.

وإذ فجأة سمع أحمد سرينة الشرطة وعربات من كل اتجاه تُحاصِر المكان وتعجب.. كيف للشرطة أن تعلم؟ وفجأة هرول الجميع استعدادًا لحرب دامية أمّا هو بسرعة شديدة أخرج مسدسه وأطلق رصاصة على كبير العصابة... وأخرى على من يُمسك بابنه، لكن بينما كان يضغط على الزناد أصابته رصاصة من الخلف تألم على إثرها ووجد نفسه يهبط إلى الأرض، وضغط بكل ما فيه من قوة ليضرب طلقات متتالية لتحرير زوجته، فوجد وابلًا من الرصاص ينهال عليه مِمَن حوله من أفراد العصابة ووجد زوجته تهرول إليه هي وابنه عُمر... وأبصر بعينيه وهم يتلقون الرصاص ليصرخ كل مِنُهم ويقعوا أمامه واحدًا تلو الآخر، ثم وجد نفسه يهوى إلى الأرض ويتذكر شريط حياته وما به من آلام وأخذ يزحف إلى زوجته وابنه بدون وعي وأُغلقت عيناه والدم ينزف مِنه نزفًا وهو يرقد عليهم وكأنه يحضُنهما الحضن الأخير ليُعلن نهاية أحزانهم.

*****

(١٦)

النهاية

الإسكندرية

يناير ٢٠٢٧

الإدراك نعمة عظيمة تجعلك تنتبه لما أنت عليه في اللحظة التي تحياها، والتغيير الحقيقي يبدأ حين تعلم أنك كنت تسير في الطريق الخاطئ.

لا أعلم كيف أبدأ؟ ومِن أين أبدأ؟ بعد أن أدركت حقيقة الحياة الزائفة!!،

ولكن كل ما أريد قوله أن الإدراك نعمة عظيمة تجعلك تنتبه لما أنت عليه في اللحظة التي تحياها، وأن:

التغيير يبدأ حينما تعلم أنك كنت تسير في الطريق الخاطئ وتبدأ بتصحيح المسار، كل ما يؤرقني هو أنني أفقت مُتأخرًا، أفقت بعد أن فقدت زوجتى وابني وأعز الناس على قلبي، بعد أن فقدت روحي وحياتي بعد أن ذَهَبَت مَن كانت تخاف عليّ حقًّا دون الجميع وليس مجرد كلام كالآخرين، فهي التي أبلغت الشرطة بكل شيء وقالت أنني من قلت لها أن تفعل لأنني مُراقب مِن هؤلاء المجرمين وجعلتني بطلًا قام بالإرشاد على أكبر عصابة تجار مخدرات، فالأم حقًّا هي مدرسة ولا يعلم قيمتها إلا من حُرم مِنها أو فقدها، قد قلت من قبل أنني حينما تركتني التي أحببتها أحسست بالموت ولكن عندما فقدت أمي علمت أن حُب الأم هو الحب الأعظم الذي لا يضاهيه شيء بالوجود، فهي التي تضحي من أجل أن تحيا وتدفع عمرها كله من أجلك بدون مقابل ومِن المُمكِن أن تقبل بموتك عندما تكون على حق وأنك تموت من أجل الله، فهل بعد كل ذلك حب يضاهيه؟، فالأم جنة.. مجنون وأكبر خاسر من لم يرتوِ مِنها وهي على قيد الحياة.

والآن أنا أتألم وأبكي بحرقة على ما فعلته، شعور مميت أن تشعر أنك كنت سببا في ضياع أحب الناس إليك، أين أنتِ يا من قُلتِ لي: كن قويا على الموت وإياك أن ترضخ له، لماذا رضختِ أنتِ وتركتِني وحدي؟

أين إيمانك بالله؟ لماذا عندما نظرتِ إليّ وأنا بغرفة العمليات وشاهدتِ توقف قلبي ظننتِ أنني فارقت الحياة؟ لِم لم تقوي وتتحملي وفارقتِني؟ لماذا؟ لماذا أرجوكِ تكلمي معي أبلغيني لماذا تركتِني؟

لماذا لم تصبري لحظات لتري الطبيب وهو يعيد نبضات القلب لأحيا من جديد، فالآن أنا حقًّا إنسان ميت لا حاجة لي بشيء بعدك.. فماذا أفعل وأنتِ التي كنتِ من أجلها أخاطر حتى لا أجعلك بحاجة لأي مخلوق على هذه الأرض، ماذا أفعل بعد أن ذهبت زوجتي التي لم ترَ معي يومًا سعيدًا بسبب إدماني لحبي المفقود؟

ماذا أفعل بعدما فقدت ابني الذي لم يرَ الدنيا ولكن أقول أنني لست بحزين على ابني الذي فارقني لأنه الآن بمكان أفضل بكثير من هذه الدنيا، أحمد الله أنه فارق هذه الدنيا وهو صفحة بيضاء ولم يلوث مثل والِده... ولكني حزين على إنسانة بريئة كانت تحبني على سجيتها وأعترف أن بعد هذا أحببتها لأنها تحملّت معي كل الظروف ولم تشتكِ يومًا ولم تتذمر من تقلباتي اللعينة.

هل تعلمين يا آية ما معنى أن يُفضِّل شخص أن يُقتل كل لحظة لأنه يحب؟.. والقتل النفسي أشد ألمًا من القتل الذي هو مفارقة الحياة، فمفارقة الحياة هي لحظة، أما القتل النفسي فهو موت بكل لحظة، ولا أكذب عليكِ أنني أكاد أشك بحبك هذا الذي أوهمتِني بِه، ولا أعرف هل أنا من أحببتك بوقت خطأ وأنتِ مراهقة أم من الخطأ ومن الصواب؟، أعلم أن الأهل هم السبب ولكن الحقيقة نحن السبب وليس هم فقط.. لأن من يُحب يحارب ولا يستسلم ولا يقول خوفًا عليك استسلمت.. فمن أي خوف استسلمتِ؟ هل

خوف من أن يؤذيني شيء. بالله عليكِ قولي لي أي أذى أكبر من الأذى الذي أنا بِه الآن؟

انتهت قصة حُبنا في أعين الجميع، لكنها لم تنتهِ بالنسبةِ لي ولا للكِ...

النهاية لست أَنا ولا أنتِ مَن نُحَددها بل الله وحده هو من يَخُط النهايات ولا أعلم إلا أن لكل نهاية بداية....

لم يجمعنا القدر يومًا ما... ولكن من الممكِن أن يجمعنا في زمن آخر غير هذا فلا عليكِ إلا أن تبتسمي لأني ما عهدتك يومًا إلا مبتسمة، أَمَا أنا فقد كَتبت عليّ الأقدار الحزن الدائم، فكيف يبتسم من لم يشعر يومًا بمعنى كلمة أب.

وكيف يبتسم من فقد أمُه وزوجته وابنه في يوم واحد، وكُتب على أختي الغربة وأن لا نلتقي إلا بعد عُمر طويل؟.. فكل إنسان الآن له حياته الخاصة.. وأمّا عن حياتي إذا أردتِ أن تعلمي عنها فأنا حياتي ستظل بين حروف كلماتي وكتاباتي هذه فهي أكثر ما تُمثلني حقًّا.

أعترف أنني لم أنجح بشيء حق النجاح على قدر ما نجحت بالنقش بالكلمات بداخل قلوب الناس وهذا أفضل وسام شرف لي وهو أن يتذكرني الناس بكل خير فأنا أعلم أنني ميت لا محالة وأردت أن أُكفِّر عن ذنوبي ورأيت أن أعظم إرث و أثر أتركه كتابات تدعو للخير وإصلاح آفات هذا المجتمع، فأنا لا أريد مالا بقدر ما أُريد دعوة طيبة من ناس بُسطاء يترحمون عليّ حين أرحل من هذه الدنيا....

شكرًا لأنكِ يومًا ما أرشدتني عن موهبتي هذه.

فإذا كانت القراءة حياة مِثلَما يقولون فأنا أقول أن الكتابة حيوات

عديدة حقًّا لا يعرفها إلا كل كاتب.

ولكل من يريد أن يُصبح كاتبًا لا بُد أن يعلم أن:

الكتابة عملية مُعقدة حقًّا يكفي أنك ترتدي ثوب حياة كل شخص بأفكاره ومعتقداته وأمزجته المُتقلبة وصراعاته وما أدراك ما الصراعات

هل تعلم ما معنى أن تبتسم وتبكِي في آن واحد؟

هل تعلم ما معنى أن تكون ملاكا وفجأة تتحول لشيطان بنفس ذات اللحظة؟ ومطالب منك بعد كل هذا أن تعود لشخصيتك الطبيعية وهذا قمة الإرهاق.

النجاح الحقيقي للكاتب عندما يجعلك تبتسم أو تبكي من مجرد حروف كتبها ولكن الحقيقة أنت لم تبكِ أو تبتسم على حروف كتبها بل على حياة عاشها بكل كيانها وما أصعب أن يعرض لك لحظات من حياته على الملأ.....

لم يجمعنا القدر بالحقيقة ولكنه جمع قلوبنا على شيء واحد اسمه

(الحب)

الذي سيظل كائنا مهما كان.

أحمد السيد بركات،،،

(١٧)

عودة

ما بعد النهاية

يناير ٢٠٥١

كلماتك سهم أصابت قلبي دون أن تلتقي بِك عيناي

فجعلت الروح تترفع عن كل دَنس باسم العشق

وهذا هو أعلى مقامات الحب..

أغلقت " آية" رواية (لم يجمعنا القدر) التي عكفت عليها لليلة كاملة حتى أنهتها.. وهي تبكي على كل حدث بالرواية حتى رأت النهاية التي جعلتها بقمة انهيارها وهي تقول لنفسها: "أنا من تسببت بكل هذا يا أحمد لك، لا ألومك بأي شيء مما قلت لأنك لم تقل سوى الحقيقة.. ولكني أتعجب مِمَا مررت بِه.. ولا حتى هذه ألوم عليك بِها لأن؛

من لا يتغير هو الجماد فقط ونحن في النهاية بشر...

ولكنني ألومك أنك شككت بِحُبي لك حتى جعلتني أنا أيضًا أشُك إن كُنت أُحِبك.. ولكن كيف تَشُك بحبي لك و أنا حتى الآن لم أتزوج ولم أفعل مِثلك، مع أنني أعلم كل العلم أني أنا من دهستك وقلت لك أنني لا أُحِبك و أنني أُحب شخصًا آخر خوفًا عليك... ولكنك صَدقت عِندما قُلت أن؛

من يحب حقًّا لا يخاف من أي شيء حتى لو الموت، والآن أنا من سأبحث عنك، يكفي.. ما فعلته لأجلي.. يكفي أنك لم تُحزنني لحظة واحدة وكان جزاؤك على هذا الحب أن أُسقيك من كأس الموت والفُقدان، فمن يستحق الموت هو أنا وليس أنت فسامحني، وأني رغم كل هذا سعيدة أنك كنت سببا لتَجِد ضالتك وأصبحت كاتبًا لامعًا، رغم أن هذا على حساب مشاعري ولكنني سعيدة أنك كان لديك المقدرة على تحويل ذكرياتك وتجاربك الأليمة لمنحة عظيمة تُفيد كل الأجيال القادمة...

والآن أتركك لأبدأ رحلة البحث عنك.

*****

بعد أن كتب أحمد الرواية وجد نفسه بالكتابة، وظل يكتُب ويكتُب وتخلص من كل أمواله الحرام التي جمعها وبدأ حياة جديدة وندم على ما فات وباع شقته بالقاهرة وذهب ليعيش بالإسكندرية بجوار من أحبها، فهو يكفيه إن لم يلتقِ بها أن يظّل بالمكان الذي به روحها، حتى أخذه الهيام يومًا وهو يسير بجانب بيتها وقال:

- أشعُر الآن أني أشتَم رائحتكِ ويأخذني نسيمك إلى أقصى درجات الأمان، أشعُر بقُربك مِنّي كثيرًا، أشعُر بأنكِ تُعانقيني، أشعُر بأنكِ تفتقديني مِثلما أفتقدكِ كُل ما أُريده من حياتي كُلِها هي رؤيتك، أُريد أن أتمتع بسِحر عيونك، أُريد أن أشعُر بالدفء بين نظراتك أُريد أن أحيا وَتَدب بي الروح عند مُلامسة يدي ليديكِ، أُريد ولو لمرة واحدة أن أقول لكِ وجهًا لوَجه أني أُحِبكِ.

*****

وفي يوم ما وهو يسير على شاطئ جليم وهو يتعكز على عكازه، أصّر أن يجلس هُناك وأخذ يحتسي القهوة السادة التي بات يعشقها لمرارتها وتذكر الحادثة التي كانت بنفس المكان الذي يجلس بِه والتي كانت سببًا في تغيير مجرى حياته وقال وهو ينظر للبحر ويرثو نفسه:

أيا من ظَنَنتَ أن الموت يُنادِيك
تَبقى أنت حي ويأخُذ أحَب الناس لِيك
عَجِبت لِحالك أيها الزَمن
لا على شيء تَبقى وتَذر
فالشاب بِقُوتِه يَغتَر
والعَجُوز بِضَعفِه يُقهر
وأنت يا بَحر كَما أنتَ
لا تَهاب شيئًا بل تعتلي أمواجِكَ
ومَهما نَصرُخ بِكَ ونقول لكَ كَفى
تَرُد علينا بأمواجِك وكَأنك تَقول
أنا من لا يبقي على شيء
فاحذر الدُنيا وألاَعِيبها
يا من لا تتّعِظ بِمَن فنى
لو كان حال يدوم لدام الحال لسيد الخلقِ
ولكن ما نحن إلا
أقدار مؤَقتة

فَخُذِ العبرةَ مِمَن سَحَبَته الأمواج في تقلبات الليالي
فهو وَحدُه مَن علِم بحقيقة الدنيا وأن لا ذِكرى تبقى
ولا نسب فَكل ما هو عليها فانٍ ابن فانٍ
وَعِش لِقدرِكَ المُؤقت
واعلم أنه لا فرح يدُوم ولا حُزن فابتسم
لأن ما إلا أنت حَياتك
إلا أقدّار مُؤَقَتة

توقف أحمد عن رثائه وقال للبحر وكأنه يُكلم صديقه:

الآن فهمت الدرس أيها البحر، وعلِمت ما كُنت تُريد قوله منذ أول وقفة وقفتها معك عِندما كُنت مُجرد شاب أخذ أول صدمة بحياته.... والآن بعدما بلغت من الكِبَر عتيًا أقول لك شكرًا أيها البحر على تسعة وخمسين عامًا قضيتها لأفهم درسًا واحدًا فقط ولكنه درس بقيمة الحياة كُلها.

*****

(١٨)

ما بعد النهاية

الإسكندرية

يناير ٢٠٥٢

الحب لا يتغير ولو بعد مئة عام

فالحب واحد في كل مكان وزمان

ومن أحب بصدق يظّل على صدقه حتى الموت،

فإن تغير في آخر نفس له فهو حقًّا لم يحب يومًا ما

إنما ما كان كل هذا إلا مجرد وهم...

(لم أكن أعلم أن أقدارنا في الحياة مؤقتة أما عنكِ فـ لا، فأنتِ فقط القدر الدائم يا آية الله في أرضي وسمائي وثنايا قلبي ووجداني)

بعد مرور سنة من نزول الرواية حَصُلت على أكبر مبيعات وتحدثت معه وسائل الإعلام وفجأة اشتهر العم أحمد في الداخل والخارج بسبب الإعلانات التي فعلتّها دار النشر، تساءل الجميع:

أين أنتِ يا من أسرتِ هذا العجوز سنين عمره ولم يرَكِ؟.

*****

يوم ٢٠٥٢/١/٢٧

فى وسط نسمات الفجرية صلى الفجر وارتدى بنطاله الكلاسيكي الأسود مع القميص ذي اللون الرصاصي، والكرافتة السوداء مع الجاكت الأسود والحذاء الأسود والقُبعة السوداء ذات موديل السبعينات التى ورِثها عن جدّه، وأخذ عُكازه وخرج بخطوات بطيئة ليستنشق هواء الصباح مع أول يوم له في عُمر الستين. نعم إنه العم أحمد الذي يعشق الوحدة طوال حياته لأسباب كثيرة أنتم علمتموها، ويعشق اللون الأسود من بعد أن افترق عن أحبائه وأصبح هذا اللون الذي لديه فقط.

وبرغم أنه في عام ٢٠٥٢ من العام الميلادي والتكنولوجيا الباهرة إلا أنه يعيش أجواء الزمن الجميل ويحتفظ بِأشياء أثرية ويفضل أن يرتدي أشياء تجعله كما لو كان لا يزال في هذا الزمن.. زمن الحب الجميل الصادق.. زمن البساطة والهدوء...

زمن عبد الحليم حافظ وأم كلثوم وإسماعيل يس والشيخ كشك والشعراوي مع إنه في الحقيقة هو لم يُعاصِرهم جميعًا من الأساس ما عدا

الشيخ الشعرواي، لكنه عاش معهم حياتهم بكل ما تركوه من أشياء فنية وقيمة إنسانية.

خرج الحاج أحمد من منزله في سيدي بشر بعد أن صلى الفجر ثم ركب سيارته الفيات ١٢٨ الشعبية ذات الموديل ٩٢، فهي تعد بمثابة كل شيء له فهي نفس عُمره وتحملت معاه ذكريات أليمة ويعدها شيئا أصيلا من الزمن الجميل وليست كالأشياء الورق الآن التي لا تتحمل أي شيء.

اتجه الحاج أحمد إلى شاطئ المندرة ليجلس مع نفسه ويختلي بها وجلس نفس جلسته دائما التي يجلسها، ثم جاء له الشاب حسام الذي يعمل على هذا الشاطئ قائلًا له:

- صباحك ورد وأزهار قل لي ما الذي شغلك عنا يا حاج أحمد، المكان ليس له روح بدونك.

نظر له العم أحمد مُبتسمًا قائلًا:

- أين أذهب من كلامك "البكاش" هذا الجميل الذي تضحك عليّ بِه دومًا.

- والله ليس "بكش" يا عم أحمد حقيقي أنا بستريح عندما أرى وجهك، فأنت كاتب كبير وإسكندرية كلها تفتخر بيك وبقصة حُبك وأرجوك لا تغيب علينا مرةً ثانية.

- والله لا أقصد أن أغيب عنك أنا أتغيب بسبب المرض فقط وأنت تعلم أني أعشق هذا المكان عشق الروح للحياة.

- الله يحفظك يا عم أحمد دائما لنا سأذهب لآتي بالقهوة التي تعشقها.

- في الانتظار.

وبعد دقائق أحضر له الشاب حسام القهوة التى يحبها وأدار له مُشغل الأغاني على أغنية لعبد الحليم لأنه يعلم أنه يُحبه جدًّا ويعشق الاستماع له وشغّل أغنية عبدالحليم وهي تقول:

ولو مريت في طريق مشينا مرة فيه
أو عديت في مكان كان لينا ذكرى فيه
ابقى افتكرني ... حاول تفتكرني
دي ليالي عشناها أبدًا مش حنساها.....
ومنين نجيب الصبر يا أهل الله يداوينا؟
اللي إنكوى بالحب قبلينا يقول لينا... وسافر من غير وداع.....
ياللي وإنت بعيد معايا نفسي يوم تسمع ندايا
وإن ماقدرتش تيجي تاني ونسيت زماني ونسيت مكاني
ابقى افتكرني.... حاول تفتكرني

ثم أخذ ينظر للبحر ويبتسم له لشيء في نفسه وتم الرحيب بِه من خلال موجة عالية جاءت ثم قال للبحر:

- أعلم أنك ستهدأ اليوم أيها البحر من أمواجك العالية.

ثم وهو جالس ينظر إلى البحر وجمال إبداع الخلاق _سبحانه وتعالى_، لمح على حين غرة إذ بسيدة عجوز تأتي له تتكئ على عصا ظل ينظر لها وكأنه يعرفها، أحس فجأة بارتياح قلب وزيادة نبضات شديدة وسعادة لا توصف، قام من جلسته ذاهبًا إليها وهو يتكئ أيضًا على عصاه بخطوات بطيئة ثم توقفت هي عندما رأته قادما إليها، وما إن وصل لها ووقف أمامها قالت له:

- كنت أعلم أنك ستعرفني رغم أننا لم نلتقِ يوما.

- بعيدًا عن إننا لم نتقابل يومًا ولأني رأيتك من قبل وأنتِ لا تعلمين ولكن ظللت أنتظر سنوات من أجل هذه اللحظة يا آية لكي أقول لكِ أنني لم أضِع من بين يديكِ، بل أنا لكِ أنتِ فقط.

اندهشت آية قائلة:

- كيف رأيتني من قبل؟ حتمًا كان حُلما.

- لم يكن حُلما يا آية بل كان حقيقة، عندما دخلتِ في غيبوبة أنا من جِئت للمشفى وتكلمت معك وأنتِ نائمة كالملائكة وأعدتك إلى الحياة من جديد.

دمعت عين آية قائلة:

لماذا كل هذا حدث بيننا؟

لماذا كل حبيبين يفترقان؟

لماذا هذا المجتمع لا يترك من أحب بصدق يأخذ من يحب؟

لماذا أهلنا لم يجمعوا بيننا في خير؟

لماذا المال يُغير النفوس؟

لماذا هم يظنون أنهم على صواب ونحن على خطأ؟

لماذا يقررون لنا ونحن لا نقرر لأنفُسِنا؟

لماذا لا نعيش حياتنا كيفما نريد ؟

لماذا لا يعترفون بأن هناك حبا حقيقيا عبر التكنولوجيا الحديثة؟ وأننا أحببنا بعضنا عن طريقها ولم نرَ بعضنا مرة واحده وكان أطهر حب حقيقي والذي ثبت وجوده حتى الآن للوقت الذي يجمع بيننا أنا وأنت حتى أصحبنا

كاهلين.

لماذا كل هذا؟؟؟

نظر لها والدموع تملأ عينيه مُجيبًا على تساؤلاتها:

- كل هذا حدث بيننا لأنها أقدار الله وهو وحده الذي يعلم لماذا حدث كل هذا؟ ومِن المؤكد أنه خير ونحن لا نعلم مهما بدت لنا من سوء، أما عن الأحبة فلا يوجد أحبة يفترقون يا آية مهما مر الزمان، ومن يفترق عن حبيبه، لم يكن يحبه حقًّا، أما عن المال فإنه يغير النفوس فهو فتنة شديدة ولا ينجو منها إلا من هو قوي الإيمان، أما لماذا يقررون لنا ونحن لا نقرر لأنفسنا للأسف نحن نقرر لأنفسنا عندما نستمع لقراراتهم ونستمع إليهم لأن العادات والتقاليد تقول أن لا نخرج عن دائرتهم ولأنهم أكثر خبرة ودِراية مِنا ولكن ما لا يعلمونه أن الزمن يتغير والظروف تتغير والتفكير يتغير وهُم لم يصارحوا أنفسهم أنهم هم من لديهم مشكلة في عدم مواكبة هذا الزمن وكل من لديه عقدة يعقدها بمن لديه.

للأسف هم من أنشأوا دينا جديدا يدعون له اسمه دين العادات والتقاليد والمجتمع ونظرات الناس

وللأسف هذا شيء شنيع حقًّا؛ لأنه هو من أودى بالمجتمع إلى الهاوية إلى أعظم المهالك يا ليتهم يعلمون أن دين الله واحد في هذه الأرض وقتها فقط سينصلح هذا المجتمع.

الحكاية لن تنتهي عند هذه القصة بل ستأتي قصص بعدنا يسألون نفس الأسئلة وسيظل الزمن شاهدًا على كل قصص الحب الذي انتهت

بمأساة بسبب المجتمع، والمجتمع هو وحده من يرد ويجيب لماذا يفعل مثل هذه الأفاعيل، لماذا لا يتعلمون من قصص غيرهم، لا يسعني إلا أن أقول يكفي أننا الآن أمام بعضنا البعض.

ثم اقترب منها قائلًا بندم شديد:

- سامحيني لأني أضعتك من بين يدي وصدّقت كلامكِ والذي كُنت متأكدًا أنه ليس أنتِ من تقولين هذا الكلام ولكن وقتها كنت وكأن صاعقة نزلت بي، وقلت لكِ أنني بخير ولا شيء أحزنني وكُنت لأول مرة أكذِب عليكِ فمهما أصف لكِ كم شعُرت وقتها بالموت لن تصدقيني لأن:

أصعب إحساس في الدنيا أن تشعر بفقدان من تحبه وهو كل شيء لك.

هو من كنت تفرح لأجله، هو من كان يجعلك قويًّا قادرا على هزيمة أي شيء يقابلك، وبعد أن صدمتِني بكلامكِ أحسست أني إنسان مهزوم لا يريد الحياة بل يعيش ويفعل أشياء تخيلها معكِ ليس من أجل أن يُسعد مع غيركِ ولكن من أجل أن يشعر بالموت أنه افتقدكِ وأن:

هذه الدنيا ومن بالدنيا لا يبقون لأحد ومهما يعدون فهم لا يعرفون معنى الوفاء وكل من قال لم أتركك يومًا في الحقيقة جميعهم كاذبون لأنهم بالنهاية تركونا.

نظرت له وبكت بكاءً شديدًا وهي تعتصر ألمًا وحسرة قائلة:

- سامحني أنت لأنني كنت أغبى إنسانة لأني أضعتك ودمرت حياتك، وخسرت أفضل إنسان كان لي بالدنيا جميعها، بسبب مجتمع عقيم وعادات فاشلة لأنهم حكموا على الإنسان من خارجه ومن ظروف لم يكن له ذنب بها

والآن جميعنا يدفع الثمن.

- إذا كان هناك من يجب أن يعتذر فهو أنا، لأني أنا الذي أحببتك بِصِدق دون الجميع دون حتى أن أراكِ وأن أعرف ما هي ملامِح وجهكِ؟ ما هي لون بشرتكِ؟ وعلى هذا الحب كُنت دائما أراكِ أنتِ الملاك وأنا **الشيطان الجاني، فأنتِ اسمك آية؛**

وكنتِ لي آية كالقرآن ممنوعة من اللمس بدون طهارة وممنوع من التشكيك به فأنا كنت مؤمنا بِكِ إيمانا لا غيب به؛

ولهذا حكمت على نفسي وأصبحت شيطانًا، وأخذت أنا الانتقام من نفسي لكِ وحكمت على حياتي بالإعدام لأجلك أنتِ لأني أحببتك وسأظل أحبك حتى أرحل عن هذه الدنيا.

- ولكن أنا لست ملاكا يا أحمد ولا بد أن تسمع مِني لماذا قلت لك وقتها هذا الكلام الذي فرّقنا عن بعضنا لأن هناك أسرارًا لا بد أن تعرِفها لأنك لست بشيطان بل أنا الشيطان الحقيقي وأنت حقًّا الملاك الذي كنت أنا سبب تحوله.. وحان الوقت الآن أن تعرف الحقيقة.....

نظر لها قائلًا:

- لا يهم الذي حدث بالماضي فما كان كان وانتهى وكل مِنا حدث له ما حدث؛ الأهم الحاضر الذي نعيشه الآن، والحقيقة التي أعلمها هي أنني أحبك وكفى، فلا يوجد وقت يا حبيبتي للندم على الماضي ولا أن نفكر في مستقبل لأن الذي بين يدينا ونستطيع أن نعيشه فقط هو هذا الوقت الحاضر اللحظة التي نقف بِها الآن.

- أنا عِلمت كل شيء لأني قرأت روايتك التي كتبتها وأعلم أنك عندما

تكتب شيئا، فأنت تكتب أشياء حدثت معك، ولأني أكثر إنسانة أفهمك قبل أن تتحدث يا أحمد، ولكن تعجبت أنك بروايتك كتبت السبب الذي أبعدني عنك وأنك كتبت ما حدث وكأنك كنت معي، نعم أعترف أننا وصلنا لمرحلة أن كل مِنا يشعر بالآخر بدون أن يتكلم معه ولا يعلم عنه شيئًا، ولكن هذا شيء فاق توقعاتي ولكن لم تذكر أنني قُلت لك أنني أُعجبت بشخص آخر وقلت فقط أنني لا أُحِبك.

نظر لها أحمد بتأثر شديد والتعب يظهر عليه قائلًا:

- لأنني خفت عليكِ من نظرة المجتمع لكِ بالرواية فأنا لا يُمكِن أن أقوم بتشويه صورتك مهما كان الوضع وأنا تخيلت الجزء الآخر من أفعال أهلِك معكِ لأن المجتمع يفعل نفس الأمر بكل قصة وأنا لم أدّعي أنني جِئت بشيء جديد بل تخيلت السيناريوهات التي تحدث بكُل مرة وعليها تخيلت سبب إبعادك عني.

ولكن يا ليتهم يعلمون ويتعلمون الدرس جيدًا قبل أن يكونوا سببا في ضياع جيل بأكمله.

ولكن السؤال الذي يبقى.. لماذا أنا وأنتِ رضخنا لكل هذه الأشياء مع أننا كنا قطعنا وعدًا بعدم الافتراق؟ ولكننا كنا مثل أي اثنين وعدا بعضهما البعض وكل واحد لم يوف بوعده ولكن وعدنا فقط الذي تحقق أننا اجتمعنا مرة ثانية و.....و...و.....

ظل أحمد يحاول أن يجمع كلمة ولم يقدر وأحس أن الدنيا تدور بِه

وفجأة وقع على الأرض بدون سابق إنذار قائلا:

- آية..

جرت علية وهي تحامل على نفسِها من الوهن وأمسكت به بين يديها قائلة:

- أحمد لا تتركني بعد أن جمعت الأيام بيننا..

نظر لها مُبتسما وقال بصعوبة بالغة وهو يقاوم:

- الأيام هي التي ستتركنا يا آية، وليس نحن لأننا لا نملك شيئا لأنفُسنا.

نظرت له آية وهي تبكي قائلة:

- أحمد.. هل تتزوجني؟

ابتسم وتكلم بصعوبة بالغة قائلًا:

- إن قلت لكِ "موافق" فسنكون قد تزوجنا ولكن ووما يِفيييد الآن؟

- يُفيد أني أريدك زوجًا لي في الآخرة.

نظر لها وأخذ يحاول أن يتمالك نفسه ثم قال:

- إن فعلت ذلك في الدنيا فسأكون خُنت من دفعت عمرها من أجلي وكان كل ذنبها أنها أحبتني، فأنا لا أُريد أن أموت وأنا جارح قلبها يكفي ما كان، ونحن سنتزوج بالآخرة لا تقلقي فالله رحيم وكريم وسيجمعنا ببعضنا في النهاية.. ولكن أعذريني لا أريد أن أُلوث هذا الحب بالزواج بالدنيا لأن حبي لكِ كان طاهرا حقًّا وليس لأي أغراض دنيئة مثلما يفعل الآخرون، فالأحق أن يظل هكذا ويكفي أن الله استجاب لدعائي أنكِ تكونين آخر وجه أُشاهده قبل أن أرحل عن هذه الدنيا.

ثم نظر للسماء وقال:

- كم أنت كريم ورحيم يا ألله رحمتك بعبد أنهكته الحياة..

ثم فجأة هبت موجة عالية لتعلن توقف كل شيء وانقطع عن العالم الذي حوله وذهب لعالم آخر تمنى به الأفضل وعساه يكون أفضل، ثم قالت في صوت مبحوح وبكاء.

- أحـمـــــد أحـمـــــد أحـمـــــــــد

ثم خارت قواها ووقعت بجانبة معُلنة هزيمتها لأول مرة لتُسلم نفسها لأقدار الحياة بعدما سُلب منها كل شيء.....

الرَحِيل لَيسَ إِلَا بِدَايةً لِلِقَاء جَدِيد بِحَيَاة جَدِيدَة

فَلَا تَحزَنوا

وَزِّينوا أَقدَارَكُم بِكُلِّ جَمِيل، وَحَافِظُوا عَلَى طَهَارَةِ قُلوبِكُم مَهمَا كان الثَّمَن.

وَكُونوا على العَهَد والوفاء دَومًا وإِيَاكُم وَخِيَانَةَ المَشَاعِر.

مع تحياتي

محمود كمال،،،

تمت بحمد الله

٢٠١٩/١٠/٣٠

خاتمة لا بُد مِنها...

عندما نوَّهت وكتبت عن أنه يوجد حب وحديث بين الشاب والبنت على الإنترنت لم أقصد أن أُبرر الخطأ وما لا يرضي الله وأن أجعله ينتشر، ولكن من المفترض عندما يقع الخطأ لا بد وأن نصلحه.. وما دام الحلال يصلحه لم لا؟، فالخطأ وقع بالفعل وليس من الصواب أن نبعدهما عن بعضهما البعض، بل نصلحه بما أمر الله.

ما تعايشتم معه بهذه الصفحات ليس من الخيالات إنما واقع كثير من الشباب والفتيات يتعايشون معه، وواقع شباب كثير ينحرف ويتجه إلى الهاوية، وثورتي على المعتقدات والمجتمع ليس إلا حرقة على ما آلت إليه الأمور من ضياع وانحراف بسبب مجتمع لا يعي ولا يُفكر إلا بنفسه فقط ولا ينظر إلا لكلام الناس وماذا سيقولون حتى إذا كان هذا الذي سيفعله سيذهب بمَن مِن دمه إلى الجحيم.

ويا من تسخرون من المشاعر وتستهزؤون بها.. فأقول لكم أنها هي حياة كل إنسان، وإن ذهبت مشاعر الفرد مِنا ذهبت معه إنسانيته.

وكل الذي أقوله وبشدة:

إحذروا إحذروا لأنكم تُقدِّسون وتدعون لدين جديد اسمه:

دين الناس، دين المظاهر، دين العادات والتقاليد، وما حدث لأحمد من ظُلم وقهر كان بسبب أنه أراد يومًا أن يصبح إنسانًا ولم يدعوه وشأنه ولم يرأفوا بحاله فكانت النتيجة ما رأيتموه بهذه الصفحات..

وبالنهاية أقول فليمُت المجتمع إن أراد تقديس العادات والتقاليد على حساب الدين، ولا تصرخوا وتستنجدوا عندما تروا أبناءكم بحالة ضياع وأنتم السبب؛ لأنكم لم تعطوهم دقيقة واحدة لسماعهم وجعلتوهم يبحثون عن من يستمع لهم بالخارج ولتعلموا أننا الآن بعصر مُنفتح من التكنولوجيا، وإن لم تواكبوا هذا التطور الكاسح الذي فرض نفسه علينا فستصبح النتيجة الضياع الحتمي، فهل من الممكن أن نأخذ أحاديث أبطال هذه الرواية بكل كيانِنا على محمل الجد حتى نستطيع أن نُنقذ ما يتبقى من إنقاذه.....وبالنهاية القرار لكم.

للتواصل مع الكاتب

البريد الالكترونى : trainermahmoudkamal@gmail.com
صفحة الفيس بوك : Mahmoudkamal2018
الصفحة الشخصية: mahmoudkamal2016

من أعمال الكاتب:

١- رواية ندى الحب الذي لا يموت ٢٠١٨
٢- رواية ميت ما زال حيًّا والحائزة على أوسكار ٢٠١٩ لأفضل رواية.
٣- أقدار مؤقتة ٢٠٢٠.
٤- تأشيرة نجاح (تحت النشر)